الإصلاح

الديني والسياسي

(١)



الإصلاح الديني والسياسي

حوارات مع سماحة

الشيخ حسن موسى الصفّار

(١)

الطبعة الأولى
١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدِّمة

الإعلام ـ وبخاصّة في عصرنا الحاضر ـ وسيلة فاعلة ومؤثرة، ولها دور في خلق الرأي العام وتوجيهه الوجهة التي يريدها صانعوه والمسيطرون عليه.

وهي في الوقت نفسه وسيلة مهمّة من وسائل المعرفة، بل أصبحت اليوم أهم وسيلة معرفية جماهيرية.

ومن أهم سماتها ـ كوسيلة معرفية ـ أنها تعتمد على الإيقاع السريع في تقديم المعلومة، بحيث يملّ المتلقي فيها من كثرة التفاصيل وزيادة الشرح والإيضاح، وهو أمر لا يقتصر على الإعلام في شقّه المرئي أو المسموع، بل يتعدّاهما إلى جميع وسائل الإعلام، التي تشمل ـ بالإضافة إلى التلفزيون والإذاعة ـ: الصحف والمجلاّت والإنترنت.

وانطلاقًا من هذا، ندرك قيمة الحضور الإعلامي للقيادات الدينية، بما يعزّز من تطوير الخطاب الإسلامي، ويمكّنه من نشر الثقافة بما يتلاءم وحاجات العصر، واللغة التي تتناغم والتطلّعات العالمية في بناء الحضارة الإنسانية.

وهي قضية لا تزال في بواكيرها في مجتمعاتنا الدينية، وتحتاج إلى

مزيد من الوعي، وإلى تكثيف في الحضور، بعيدًا عن التردّد الذي لا تزال كثير من القيادات الدينية تعيشه، بما ينعكس سلبًا في نشر وبث المواقف والمفاهيم الإسلامية.

وهو ـ في الوقت ذاته ـ ما يتعارض والأدبيات التي نتناقلها في سيرة الأئمة الهداة، فعندما نتناول سيرة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وحضوره في قصر الخليفة العباسي المأمون، نورد استثماره لتلك الفرصة في محاوراته ومناظراته العلمية والعقائدية والفكرية التي نشر بها كثيرًا من معارف الإسلام.

والحال عينه عندما نتناول سيرة الإمام محمد الجواد عليه السلام، الذي اضطرّ للبقاء في قصر الخليفة، وهو الإمام الذي تسلّم الإمامة في سن مبكرة، ما حفّز الكثيرين من حاشية الخليفة لمناظرته ومحاورته في القضايا الفقهية والعقائدية، وهو الأمر الذي أثر في إظهار مكانته وعلوّ قدره عليه السلام.

وقد كانت تلك المناظرات والمحاورات منابر إعلامية استفاد منها الأئمة في بث علومهم، وبيان منزلتهم التي أنزلهم الله فيها.

تأسيسًا على ما مضى، ندرك قيمة الدور الذي يقوم به سماحة الشيخ حسن الصفّار في حضوره الإعلامي، في المحاضرات والندوات والمقابلات الصحفية والبرامج التلفزيونية، فهو حضور تتطلّبه المرحلة الراهنة، في ظلّ هذا الانفتاح العالمي والمحلّي على القيادات والمجتمعات الإسلامية، والشيعية خاصّة.

وهي تجربة رائدة، ومتميّزة، اخترنا منها جانبًا مهمًّا، وهو جانب اللقاءات والحوارات الصحفية، لتظهر على أجزاء ومجموعات متتالية، كان الغرض منها إبراز هذه التجربة بشكل مستقلّ، لما فيها من طرح ثقافي وسياسي يحمل جانبًا من مشروع سماحته الفكري

والسياسي والاجتماعي، وكذلك لتكون مثالًا لأنموذج الانفتاح الإعلامي وتقديم الرؤية الدينية في القضايا الحياتية المطروحة، وهي تجربة لا يجب أن تقتصر على الشيخ الصفّار، بقدر ما يجب أن تتنوّع فيها القيادات والشخصيات الدينية التي تحاول ـ من خلال هذه الوسائل ـ أن تطلّ على الجمهور مبرِزَةً الجانب المشرق في تعاليم الإسلام، وذلك ضمن أطر وضوابط الظهور الإعلامي والخطاب الذي يتلاءم وحاجات ونمط الحياة المعاصرة.

وهي ضوابط ومعايير كانت واضحة في خطاب الشيخ الصفّار في حواراته وإطلالاته الإعلامية، نعرض منها جانبًا في عناوين محدّدة، وهي كالتالي:

١. الخطاب الإسلامي العامّ

الشيخ حسن الصفّار شخصية منفتحة على جميع الأطراف، ولا تؤطره المذهبيات والعصبيات بأطرها الضيقة، وذلك بما بناه في خطابه الإرشادي والتوجيهي طيلة عمله السياسي والاجتماعي، لأكثر من ربع قرن من الزمان.

وهي سمة تدفع كل إعلامي إلى أن يُقبل على محاورته والانفتاح عليه أيضًا، وهو أمر يمكن أن نراه جليًّا في تنوع وسائل الإعلام التي يطل منها على جمهوره المتنوّع.

وكذلك نرى ذلك في الأطروحات العامّة التي يقدّمها، التي لا يحدّها بإطار مذهبي خاصّ، بل نجده في كثير منها يطرحها بصفتها الإنسانية البحتة.

٢. القدرة على تحليل الظاهرة

مارس سماحة الشيخ حسن الصفّار العمل السياسي والاجتماعي

من سنٍّ مبكّرة، وذلك لارتباطه بالمنبر والخطابة الحسينية من تلك السنّ الصغيرة (١٢ سنة)، وهو المنبر الذي يعالج ـ وبخاصّة في موسم عاشوراء ـ القضايا الاجتماعية الحيّة، وهو أمر أكسبه ـ مع الزمن ـ خبرة في معالجة هذه القضايا ومحاولة اقتراح البدائل والحلول العملية لها، إذ نلمس ذلك بوضوح في هذه الحوارات، التي ـ غالبًا ـ ما يحاول أن يُرجِع كل مسألة فيها إلى المشكلة الأساس، وفي كثير من الأحيان يرجعها إلى عدّة عوامل وأسباب، ليخرج ـ مع محاوِره ـ إلى طريق ممكنة لمعالجة هذه الأسباب، ما يفتح الأفق أمام المتلقي إلى آفاق أرحب، وإلى نوع من الشعور بالأمل عندما يجد أن كثيرًا من المشاكل الاجتماعية ـ إذا اكتشف الإنسان مكمَن الخلل فيها ـ أمكنه الوصول إلى معالجتها، وبخاصّة عندما يضع الشيخ الصفّار المتلقي في قلب المشكلة، بحيث يكون له دور فاعل في الوصول إلى الحلّ.

٣. المرونة والتوازن في الطرح

من أساسيات خطاب سماحة الشيخ الصفّار أنه يرى أهمية كسب أكبر شريحة من الجمهور لينخرطوا في سلك التديّن، مقتنعين بألا تعارض بين الالتزام الديني والممارسة الحياتية المنفتحة والرحبة، ولذلك نرى مرونة متوازنة في إجاباته الحوارية هذه، فنراه في أحد الأسئلة التي وجهت إليه عن عادة السهر التي يمارسها الجيل الشاب في ليالي شهر رمضان المبارك، بحيث يقضون نهارهم ـ بعد ذلك ـ نيامًا، ففي معرِضِ إجابته أشار إلى أن ذلك ـ ما دام لا يتعارض والتقصير في أداء الصلوات في أوقاتها ـ لا ضرورة للحديث حوله بشكل مبالغ في سلبيته واستنكاره.

٤. التنوّع في طرح الحلول

خاض الشيخ الصفّار العمل السياسي المنظّم، وبالإضافة إلى ذلك شارك في العديد من البرامج الثقافية والاجتماعية والتبليغية، وقد صقلته هذه التجربة، فترى أثرها في إجاباته الحوارية، مما يدلّل على عمق التجربة التي خاضها سماحته.

فإنه في أي سؤال يوجّه إليه عن المقترحات التي يعرضها لحلّ أي قضية من القضايا، تجد الجواب حاضرًا لديه، وبعدّة أشكال، وفي نقاط متسلسلة متتابعة.

٥. إشراك الجمهور في تحمّل المسؤولية

جمهور الحوارات الإعلامية لا يقتصر على شريحة محدّدة، وهذا ما يستدعي من ضيف الحوار أن يكون أكثر التفاتًا إلى إشراك الجمهور في عموم الخطاب الذي يوجهه أثناء عملية الحوار وإجابة الأسئلة.

وهذا ما نجده حاضرًا لدى سماحة الشيخ الصفّار في معظم لقاءاته وندواته، ففي الوقت الذي يحمل الحكومات ونخب ومثقفي المجتمع وأصحاب النفوذ فيه جزءًا كبيرًا من المسؤولية، لا يغفل عن أن يجعل للجمهور دورًا واضحًا في القضايا المطروحة، وبخاصّة عندما لا تكون مسألة استجابة المسؤول أمرًا ميسرًا.

وهذا من خلال الدعوات التي يطلقها في العديد من الحوارات لإنشاء المؤسسات الاجتماعية، أو دعواته للالتفاف حول القيادات الواعية والفاعلة اجتماعيًا، دعمًا لمسيرة التطوير والرقي الاجتماعي والديني بالخصوص، أو من خلال إرشاده الجمهور إلى سلوك اجتماعي معيّن لمعالجة هذه القضية أو تلك.

٦. التأصيل الديني

يكاد المتتبّع لا يرى خطابًا أو حوارًا مع سماحة الشيخ الصفّار،

إلا والآية القرآنية أو النص الديني أو الموقف التاريخي حاضرًا، وهي سمة غالبة على خطاب سماحته، وبخاصّة في العناوين العامّة التي تطبع مشروعه، الذي يقوم على مبادئ وقيم إسلامية أصيلة، لعل أهمها مشروع الوحدة الإسلامية، والنهوض بالواقع الديني، والرجوع به إلى قيمه الأولى، ومبادئه التي أرساها رسول الإسلام محمد ﷺ.

ولا بدَّ لنا من الإشارة إلى أن هذه الحوارات حصلت في سنوات سابقة، وبعضها يرتبط بأحداث آنية، وقضايا كانت مثارة في حينها، ولا شكَّ أن المعالجة لها في الحوار تتأثّر بظرفها، ولو طرحت للنقاش من جديد، قد تحتاج إلى إضافة أو تغيير بعض النقاط والعناصر الواردة فيها، لكننا أبقينا الحوارات كما حصلت، دون تدخّل أو تغيير.

نأمل أن يجد القارئ فيها ما يفيده، وأن يجد فيها الباحثون والمهتمّون بدراسة الحالة الدينية الاجتماعية ما يثري بحوثهم.

والله خير موفق ومعين.

حسين منصور الشيخ
القسم الثقافي بمكتب سماحة
الشيخ حسن موسى الصفار
٢٥ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ

[*] الحوار الأول[1]:

الشيعة والعالم

الشيخ الصفّار:

- المطلوب منا التبشير بمرحلة جديدة نتجاوز فيها سلبيات الاختلاف.
- التشيع ليس تيارًا عقائديًا ولا مدرسة فقهية مذهبية فقط، بل هو رؤية وموقف تجاه الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية.
- نحن بحاجة إلى أجواء الحرية والانفتاح الفكري لتتحرك العقول وتبدع الأفكار.
- آن الأوان لعقد الحوارات البناءة والمؤتمرات الهادفة لتقويم ودراسة الواقع الحوزوي والمرجعي.
- نطالب بمعاهد خاصة للخطابة الحسينية ضمن حوزاتنا العلمية.

---

(١) الموسم: مجلة فصلية مصورة تُعنى بالآثار والتراث، تصدر عن دار الموسم للإعلام - بيروت، العدد ١١، المجلد الثالث ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.



■ **كيف ترون صورة العلاقات والتعامل بين التوجهات والتجمعات المختلفة والمتعددة داخل الطائفة الشيعية؟**

□ لا بد أن نقرر في البداية أن التعددية والاختلاف في المجتمعات البشرية حالة طبيعية وحق مشروع، فلو استقصينا أوضاع المجتمعات البشرية في أزمنة التاريخ، مهما كانت أديانهم ومذاهبهم، لرأينا حالة الاختلاف والتعددية موجودة وقائمة، وقد يتراءى للبعض أن المجتمع الديني لا مجال فيه للاختلاف والتعددية، فما دمنا جميعًا نؤمن بدين واحد فما هو مبرر الاختلاف وتعدد الآراء والجهات؟ ولكن بشيء من التأمل يكتشف الإنسان بساطة هذا التصور، فهناك أسباب وعوامل عديدة تستلزم حصول التفاوت والتباين داخل المجتمع الديني، ولدينا مفاهيم وتعاليم توضح هذه العوامل وتوجهنا إلى كيفية التعامل معها..

فأولًا: التفاوت في المستوى الإيماني ودرجاته، والذي وردت حوله نصوص كثيرة أفرد لها العلامة المجلسي ; في موسوعته (بحار

الأنوار) بابًا خاصًّا تحت عنوان: «درجات الإيمان وحقائقه» في كتاب الإيمان والكفر ج٦ من ص١٥٤ إلى ص١٧٥.

وبالطبع فإن تفاوت مستوى الإيمان قد يسبب تفوتًا في الآراء والسلوك والممارسات. بقول الله تعالى: ﴿**هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللهِ واللهِ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾[1].

وعن عبد العزيز القراطيسي قال: قال لي أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «يا عبد العزيز إن الإيمان عشر درجات بمنزلة السلّم، يصعد منه مرقاة بعد مرقاة، فلا يقولن صاحب الاثنين لصاحب الواحد: لست على شيء.. حتى ينتهي إلى العاشرة.. فلا تسقط من هو دونك، فيسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجة فارفعه إليك برفق، ولا تحملن عليه مالا يطيق فتكسره، فإن من كسر مؤمنًا فعليه جبره»[2].

وفي الحديث إشارة مهمة إلى أنه حينما تقاطع من يختلف معك، فإن الآخرين سيقاطعونك لاختلافك معهم، كما يوجه الحديث تحذيرًا شديدًا إلى من يسقطون اعتبار إخوانهم المؤمنين ويتجاهلون حقوقهم وشخصياتهم لا لشيء إلا لأنهم لا يوافقونهم في كل ما يعتقدون أو يعملون..

وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق أيضًا يرويها الصباح أبو سيابة، عنه عليه السلام أنه قال: «ما أنتم والبراءة يبرأ بعضكم من بعض؟ إن المؤمنين بعضهم أفضل من بعض، وبعضهم أكثر صلاة من بعض،

---

(١) سورة آل عمران، ١٦٢.

(٢) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦٦، ص١٦٥.

وبعضهم أنفذ بصيرة من بعض، وهي درجات»[(١)].

وثانيًا: تفاوت مستوى المعرفة والوعي: فما كل الحقائق يكتشفها كل الناس، وبدرجة واحدة من الوضوح، ونصيب الناس من العلم ليس واحدًا يقول تعالى: ﴿**نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾[(٢)].

واختلاف مستوى العلم والمعرفة يحدث اختلافًا في الآراء والتوجهات، فقد تتجلى حقيقة فبعضنا تقوده إلى قناعة وعمل معين، بينما يرفض الآخرون تلك القناعة وذلك العمل، لعدم اطلاعهم واقتناعهم بتلك الحقيقة الأساس، لذلك يقول الإمام علي عليه السلام: «الناس أعداء ما جهلوا».

وقد تتوفر لأحدنا معلومات تدفعه لموقف معين، بيد أن من لا يمتلك تلك المعلومات أو لا يعتمدها لا يمكنه أن يتخذ ذات الموقف.. وهذا وارد ليس بين المؤمنين فقط بل حتى بالنسبة للأنبياء والأولياء المعصومين المقربين، فإذا شاءت حكمة الله تعالى أن يطلع نبيًا على حقيقة معينة يحجبها عن النبي الآخر فسوف تكون النتيجة نوعًا من التفاوت والاختلاف في الرأي بين ذينك النبيين.. كما يبدو من قصة نبي الله موسى والخضر عليهما السلام التي يذكرها القرآن الكريم في سورة الكهف.. وأيضًا في قضاء النبيين داود وسليمان عليهما السلام إذ يحكمان في الحرث، حسبما ورد في سورة الأنبياء.

وعلى هذه الأرضية يكون اختلاف الفقهاء والمجتهدين في الفتوى، حيث يبذل كل واحد منهم جهده العلمي، ويستخدم قدرته

---

(١) المصدر ص١٦٨.

(٢) سورة يوسف، ٧٦.

الاجتهادية لاكتشاف حكم الله في كل مسألة، ولكنهم قد يختلفون في فتاواهم حتى في المذهب الواحد كما هو معروف لدينا.. واختلافهم مظهر من واقعية الاختلاف في حياة البشر وقبول الإسلام لهذه الواقعية..

وثالثًا: اختلاف المصالح: فالمعصوم فقط هو الذي تكون دوافعه في أفكاره وأعماله ومواقفه نابعة من الحق وقاصدة إليه، والعصمة رتبة عظيمة يختص بها الملائكة الذين هم ﴿**عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[1] والأنبياء فالنبي معصوم ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾[2] والأئمة الذين أذهب الله عنهم الرجس فطهرهم تطهيرًا.

أما سائر الناس ومنهم المؤمنون ومهما علت درجات إيمانهم فهم بشر، للمصالح والأهواء دخل وتأثير على آرائهم ومواقفهم، فكل جهة أو فئة أو جماعة تسعى للدفاع عن مصالحها ومنافعها، وعلى أساس ذلك تتخذ مواقفها وتتبنى قناعاتها..

من كل ما سبق نقرر أن حالة الاختلاف والتعددية حالة طبيعية عند الشيعة كما عند غيرهم، ولكن الكلام حول التعامل مع هذه الحالة حيث يكون هذا الاختلاف والتعدد في غالب الأحيان سببًا للتباعد والعداوات والنزاعات، وهذا ما تعاني منه بعض مجتمعاتنا حيث أصبح الاختلاف في الانتماء لهذا المرجع أو تقليد ذلك المرجع، أو الاختلاف في الموقف السياسي والانتماء الحزبي، أو الاختلاف حتى في بعض الآراء والأفكار، وفي بعض الأحيان حتى بين

---

(١) سورة الأنبياء، ٢٦ – ٢٧.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.

أصحاب الحسينيات ومواكب العزاء.. أصبح ذلك الاختلاف سببًا للصراع ومعوقًا للوحدة والتعاون!!

والمطلوب منا حاليًا أن نبشر بمرحلة جديدة نتجاوز فيها سلبيات الاختلاف، فالعالم من حولنا يدخلون الآن عهد وفاق جديد، بعد فترة طويلة من الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي، ومنطقتنا الشرق الأوسط قد تكون مقبلة على وضع جديد، كما تشير تصريحات كبار السياسيين في العالم، والعقد الماضي ما حفل به من تجارب وأحداث، يجب أن يعطينا تجربة ونضجًا في تعاملنا مع بعضنا البعض ضمن الحدود التالية:

أولًا: الاعتراف بحالة التعددية ومشروعيتها:

أما إذا تنكر كل منا لوجود الآخر، واعتبر وجوده وحده هو المشروع والأصل، وأراد أن يفرض وصايته على الآخرين، وأن يذوبوا فيه ويلتحقوا به، فإن ذلك سيجعلنا نهبًا للصراعات والفتن، وتكون مصلحتنا كمذهب وكطائفة ضحية لهذا الطلب غير واقعي..

ثانيًا: وضع حد للنزاعات والصراعات كي تسود أخلاقية الاحترام المتبادل فقد رأينا كيف عادت علينا حالات النزاع والدعايات والاتهامات المتبادلة، عادت علينا جميعًا بالضرر، واستغلتها الأطراف الخارجية، والعناصر المغرضة في داخلنا.. وهنا يأتي دور وسطاء الخير ودعاة الإصلاح من الواعين المخلصين وعلماء الطائفة ورجالاتها، بأن ينبروا لمعالجة أي خلاف ينشب أو سوء تفاهم يحدث، ومؤسف جدًا ندرة هذا النوع من المواقف، حيث أن الكثيرين إما أن يتورطوا في الصراعات وينحازوا لأحد أطرافها، أو يتركوا الحبل على الغارب ولا يرون لأنفسهم دورًا أو مسؤولية في هذا الشأن.

ثالثًا: نشر ثقافة التقارب والتسامح والتعاون ومحاربة الأفكار والإثارات التي تشجع التعصب والعزة بالإثم، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «من اتهم أخاه في دينه فلا حرمة بينهما»، وفي حديث آخر عنه عليه السلام: «إياكم والخصومة في الدين فإنها تشغل القلب عن ذكر الله عز وجل، وتورث النفاق، وتكسب الضغائن، وتستجير الكذب».

وأسوأ شيء هو إضفاء صفة الشرعية على الصراعات والنزاعات حيث يعتقد البعض أن تكليفه الشرعي يكون في إسقاط الآخرين المخالفين له، وأن له الثواب في نشر المساوئ عليهم**!!**

رابعًا: وضع صيغ للتعاون بين مختلف الجهات على المستوى العام أو على الصعيد المحلي.. وهناك تباشير وآمال كبيرة في بدء مرحلة جديدة يسودها الصفاء والتعاون بين مختلف جهات الطائفة وعلى كل مستوياتها إن شاء الله تعالى، وأرجو أن تلعب مجلة الموسم دورًا رياديًا في مجال الإعلام والثقافة لخدمة اتجاه الوحدة والتعاون داخل الطائفة وسائر المسلمين وأن تكون منبرًا مفتوحًا لكل الآراء والاتجاهات الفاعلة..

الحركات السياسية الشيعية مرحلة المعارضة

■ هناك من يرى بأن الأنشطة السياسية والأعمال الجهادية التي قامت بها بعض الحركات والجهات الشيعية في العقد الماضي قد خلفت آثارًا سلبية على الوضع الشيعي اجتماعيًا وسياسيًا، كما أعطت المبرر لتشويه صورتهم على المستوى الدولي فما هو رأيكم؟

□ معلوم أن هناك توجهين في فهم الإسلام والتشيع وعلاقتهما بالواقع الاجتماعي، فالتوجه الأول ينظر إلى الدين في حدود المسائل

العقائدية والعبادية والوعظية، دون الاهتمام والتدخل في الشؤون السياسية والاجتماعية، وبناء على هذا الفهم فالتحرك والنشاط الشيعي ينحصر في الالتزام بفقه أهل البيت عليهم السلام وإحياء شعائرهم، ونشر أفكارهم وفضائلهم.. ولا ينبغي أن يتجاوز ذلك إلى العمل الجهادي والسياسي، لأن ذلك يتناقض مع مفهوم التقية (حسب نظرتهم) ويشكل استباقًا وتسرعًا للدور التغييري الشامل الذي سيقوم به صاحب العصر والزمان ـ عجل الله فرجه ـ.. ولأصحاب هذا التوجه منظومة من الأفكار والقناعات يستدلون بها بمختلف النصوص الدينية والمواقف التاريخية.. ولسنا الآن في مورد مناقشة هذا الموضوع ولكنا نريد الإشارة إلى أن للتساؤل المطروح هذه الخلفية، وانطلاقًا منه يحصل هذا الإشكال..

أما التوجه الآخر فيرى أن الدين معني بجميع جوانب حياة الإنسان والمجتمع، والشأن السياسي له الدور الرئيسي والتأثير الكبير على كل مجالات الحياة، فمن غير الممكن تجاهله وإهماله من قبل الإنسان المؤمن.. والتشيع ليس تيارًا عقائديًا ولا مدرسة فقهية مذهبية فقط، بل هو رؤية موقف تجاه الواقع الذي تعيشه الأمة، وتوجيهات أهل البيت عليهم السلام تدفع أتباعهم إلى تحمل المسؤولية في الدفاع عن مصالح الإسلام وقضايا المستضعفين فأمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: «وما أخذ الله على العلماء إن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم» والإمام الحسين عليه السلام يروي عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوله: «من رأى سلطانًا جائرًا مستحلًا لحرام الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفًا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقًا على الله أن يدخله مدخله».. إلى كثير من النصوص والروايات الموجودة في مظانها، وإلى جانب هذه التعاليم

والتوجيهات هناك حياة الأئمة أنفسهم والتي كانت حافلة بمواقف الجهاد والثورة والمعارضة للفساد والظلم، ونتيجة لذلك تحمل أهل البيت تبعات مواقفهم الرسالية، ودفعوا حياتهم ثمنًا لتلك المواقف، وعاشوا الآلام والغصص والتشريد والتنكيل، وأتباع أهل البيت وشيعتهم عرفوا في التاريخ بأنهم ضمير الأمة وحماة الرسالة، وثورات العلويين والهاشميين الدائمة مثال على ذلك..

والنشاط السياسي والتحرك الجهادي للحركات الشيعية المعاصرة إنما هو امتداد لذلك التاريخ، وانبثاق من ذلك الفهم لدور الدين في الحياة ومسؤولية المؤمن تجاه الواقع المعاش، وبناء على هذا الفهم والتوجه لا ضير في تحمل المعاناة والصبر على الموقف الإيماني الرسالي والملتزم، اقتداء بأهل البيت عليهم السلام وأسوة بهم، فقد شوهت سمعتهم وشكك البعض حتى في دينهم كما هو الحال في اتهام الخوارج للإمام علي بالشرك، ودعاية معاوية ضده بأنه لا يصلي ولا يغتسل عن الجنابة، وكما اتهم الإمام الحسين عليه السلام بالخروج عن الدين، وسبيت نساؤه وعائلته، ويمكن القول إن حياة أهل البيت عليهم السلام سلسلة متواصلة من الجهاد والفداء من أجل الله والمستضعفين.

من ناحية أخرى فإن ما قامت به الحركات الشيعية من جهاد وتحرك إنما يأتي ضمن صحوة ونهضة إسلامية هبّ نسيمها على جميع المسلمين، حيث أفاقت جماهير الأمة على نفسها لترى أن واقعها بعيد عن منهج الله، وأنها تعيش حياة التبعية والتخلف، ويلفها الحرمان والجهل، وأزمة أمورها بأيد غير كفوءة ومخلصة، فتحركت الغيرة والشعور بالمسؤولية لدى الواعين المخلصين، وتشكلت الحركات والمنظمات، وحدثت الانتفاضات والثورات، في مختلف البلدان الإسلامية.. والشيعة وهم جزء لا يتجزأ من الأمة الإسلامية ما كان

يصح لهم التخلف عن ركب الصحوة والنهضة الإسلامية التي تهدف إلى تحكيم الدين في الحياة وإعلاء كلمة الله، وإعادة أمجاد المسلمين.. وما حصل كان ضمن هذا السياق وهو في مجمله مدعاة للفخر والاعتزاز. كما أن شدة الظلم والقمع والاضطهاد الذي تتعرض له الطائفة في بعض البلدان يشكل عاملًا ضاغطًا ودافعًا باتجاه المقاومة ورد الفعل.

وإذا كانت هناك آلام ومآسي ومضاعفات قد حصلت للطائفة الشيعية بسبب تلك الأعمال السياسية والجهادية فإنها لا يصح أن تحجب عنا رؤية الإنجازات والمكاسب التي تحققت للإسلام والمسلمين من خلال تلك الأنشطة، حيث انتشرت رقعة الوعي الديني، وازداد التفاف الجمهور حول القضايا الإسلامية، واضطرت العديد من الحكومات إلى الاهتمام بالإسلام والتظاهر بالتزامه، وأصبح الإسلام واقعًا وموافقًا يفرض نفسه على المستوى العالمي والمحلي والاجتماعي..

بالطبع فإن الحديث عن مشروعية التحرك ومبررات النشاط السياسي الجهادي لا يعني القبول بجزئيات وتفاصيل كل الممارسات التي تحصل انطلاقًا من ذلك، فالمجال مفتوح والساحة واسعة، لأساليب العمل المختلفة وأشكاله المتعددة، ويمكن النقاش حول بعض الممارسات، أو توجيه النقد لبعض المواقف، فقد تتعدد الاجتهادات، وتحدث التداخلات، وتحصل الأخطاء..

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن هناك جهات دولية وسلطات محلية، وبعض المغرضين الطائفيين، عملوا كثيرًا على تضخيم بعض السلبيات، وإثارة الاتهامات ضد الحركات الإسلامية الجهادية بشكل عام والحركات الشيعية منها بالخصوص، وعلينا أن لا نخضع

للحرب النفسية، وننهزم أمام التضليل الإعلامي، فالإعلام كان ولا يزال سلاحًا يستخدمه المستكبرون والظالمون ضد تحرك المستضعفين والمظلومين.

الجدّية في أطروحات التقريب والوحدة الإسلامية

■ في مقابل إثارة النعرات الطائفية والتفرقة المذهبية بين السنة والشيعة هناك أطروحات ومشاريع للتقريب بين المذاهب الإسلامية ولتوثيق أواصر الوحدة بين المسلمين، وباعتباركم من المهتمين بطرح هذه القضايا في كتاباتكم وخطاباتكم، هل ترون في الأفق أطروحات جادة في هذا السبيل؟

□ الصراعات الطائفية في الأمة وإثارة التفرقة المذهبية عادة ما يكون خلفها عاملان: العامل السياسي، حينما تخطط جهات أجنبية أو سلطات منحرفة، لإشغال المسلمين عن قضاياهم المصيرية أو لتمزيق وحدتهم، وأكثر ما كان يحدث في العقد المنصرم، هو بسبب هذا العامل، فقد أرعب الاستكبار العالمي، أحست الأنظمة المنحرفة بالخطر الداهم، من نمو الصحوة الإسلامية، وتحرك المسلمين وعودتهم إلى دينهم والمطالبة بتحكيمه في الحياة، وفي مواجهة هذه اليقظة الإسلامية استخدم الأعداء إجراءات كثيرة كان من بينها نبش أوراق الخلافات الطائفية المذهبية..

والعامل الثاني هو التخلف الذي تعيشه قطاعات كبيرة من الأمة في المجال الثقافي والأخلاقي، هذا التخلف الذي يتجلى في جهل المسلمين ببعضهم البعض، وفي عدم وجود الانفتاح المتبادل، والحوار الإيجابي، وفي أخلاقية التعصب والتشدد تجاه الرأي الآخر.. وطوال

تاريخ المسلمين كان هناك خطان ونمطان في التعامل مع الاختلاف والتعدد المذهبي.. خط التسامح وتجاوز مناطق الخلاف إلى أفق الوحدة الإسلامية والمصلحة المشتركة، خط التعصب والإرهاب الفكري الذي يثير دائمًا جزئيات الاختلاف ويضخمها حتى لا تكون هناك فرصة لأي لقاء أو حوار أو تعاون.. والتوجه العام لأئمة أهل البيت عليهم السلام ولأتباعهم الواعين هو في مسار الخط الأول، وليس على صعيد التوجيه والإرشاد فقط وإنما حتى على مستوى الممارسة والحكم في الفترات التي تكون بيدهم السلطة الزمنية، كما يروي الشيخ الطوسي مثلًا في التهذيب عن موقف الإمام علي عليه السلام حينما تولى الخلافة من المسائل الفقهية المخالفة لرأيه ولا يستسيغ حصول مشكلة تكدر صفو الوحدة، أو تخدم أهداف المغرضين من أجل مسألة جانبية، جاء في التهذيب أنه: «لما قدم أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة أمر الحسن بن علي أن ينادي في الناس: لا صلاة في شهر رمضان في المساجد جماعة -يعني صلاة التراويح التي أفتى بها عمر بن الخطاب في عهده- فنادى الحسن بن علي في الناس بما أمره أمير المؤمنين فلما سمع الناس مقالة الحسن بن علي صاحوا: واعمراه.. فلما رجع الحسن إلى علي قال له: ما هذا الصوت؟ فقال: يا أمير المؤمنين الناس يصيحون: واعمراه واعمراه!! فقال أمير المؤمنين لهم صلوا..»[1].

وإني متفائل جدًا في المرحلة الحاضرة من أن هناك وعيًا وحدويًا أخذ ينتشر في صفوف المسلمين، وأن أخلاقية التسامح وسعة الصدر واحترام الرأي الآخر هي من سمات هذا العصر الذي ترتفع فيه أصوات الدعوة إلى الديموقراطية واحترام حقوق الإنسان..

---

(١) الطوسي، التهذيب، ج٣، ص٧٠.

ولعل مما يخدم اتجاه الوحدة الإسلامية انفتاح المسلمين على بعضهم البعض وانتشار المعرفة المذهبية، بأن تتاح الفرصة أمام كل مسلم للإطلاع بشكل مباشر على آراء سائر المذاهب الإسلامية، أما الجهل والانغلاق فهو أرضية قبول الدعايات والشائعات المغرضة.

نقد الحالة المرجعية داخل البيئة الشيعية

■ **الحديث الذي أدلى به سماحة العلامة السيد محمد حسين فضل الله لمجلة الموسم ونشر في العدد الثامن أثار العديد من المناقشات والتساؤلات، وخاصة فيما يتعلق بموضوع المرجعية الدينية فما هو رأيكم وتعليقكم على هذا الجانب؟**

□ في البدء أعرب عن احترامي وتقديري للدور الذي يقوم به سماحة العلامة فضل الله ـ حفظه الله ـ في إثراء الثقافة الإسلامية بإنتاجه الفكري الذي يتميز بمواكبته لمتطلبات الساحة وبمعالجته للمشاكل والهموم الحاضرة، وأيضًا بالجرأة الشجاعة في طرح القضايا والمسائل التي يتهيب الكثيرون من طرحها.

وبالنسبة إلى حديث سماحته حول المرجعية والواقع الشيعي المعاش أود الإشارة إلى النقاط التالية:

أولًا: أننا يجب أن نتجاوز حالة الخوف من النقد، واتخاذ الموقف السلبي الرافض تجاهه، فما دمنا لا ندعي العصمة لأنفسنا، ونتطلع للأفضل، ونؤمن بدور التناصح والتواصي، فعلينا أن نقبل النقد والتقويم لكل أوضاعنا وقضايانا، والذين يرفضون النقد كأنهم يدعون ضمنًا العصمة، أو يفتقدون التطلع للأفضل ويرون أنه ليس بالإمكان أفضل مما كان من أعمالهم، أو يتعالون ويترفعون على قبول

التناصح والتواصي.

والقرآن الحكيم حينما يذكر توجيهات وتأديبات الباري سبحانه وتعالى لنبيه محمد ﷺ على مسامع الأجيال، ويتحدث عن أخطاء وثغرات المجتمع الإسلامي الأول مرشدًا لهم إلى تلافيها وتصحيحها، إنما لكي يربي الأمة الإسلامية والبشرية جمعًا على ضرورة التقويم والمراجعة والنقد.

والتقويم ليس موقفًا عدائيًا، ولا يصح النظر إلى أي نقد على أنه تجريح أو تشهير أو انتقاص، وربما تتصور بعض الأوساط الدينية أن النقد يسبب كشف ثغراتنا ونقاط ضعفنا أمام الآخرين، وأمام الجمهور فتقل وتضعف ثقته في الجهات الدينية، ولكن هذا التصور ينطوي على بساطة واضحة، حيث لم يعد وضع الطائفة الشيعية ولا واقع مرجعيتها، أمرًا خفيًا بل هي تحت المجهر وتسلط عليها الأضواء، وتجري حول أوضاعها البحوث والدراسات، وقد يكون ما يعرفه الآخرون من تفاصيل أوضاعنا أكثر مما يعرفه الكثيرون منا.. وبسبب انتشار الوعي والمعرفة وانفتاح مجتمعاتنا على العالم، فإن تساؤلات كثيرة، وحديثًا واسعًا يدور في أوساط الجمهور الشيعي حول مؤسساته الدينية القيادية، وعلينا ترشيد وتوضيح القضايا والأمور حتى لا يستغلها الأعداء لتضليل مجتمعاتنا، وذلك بمناقشتها وتداولها والتحاور حولها وليس بالتستر عليها والتعتيم..

ثانيًا: إننا بحاجة إلى أجواء الحرية والانفتاح الفكري، لتتحرك العقول، وتبدع الأفكار، أما إذا ساد الإرهاب الفكري، واتهمنا كل من يطرح فكرة جديدة، وشككنا في نوايا كل من ينتقد أو يعترض، فإننا بذلك نحرم أنفسنا من الإبداع الفكري، ونخسر الآراء الصائبة، ونشلّ العقول والأفكار.

ثالثًا: إذا كانت قيمنا ومبادئنا ثابتة دائمة، فإن البرامج والوسائل والأساليب قابلة للتغيير والتطوير كلما تقدم الزمن، نحو الأحسن والأفضل وهذا ما يؤكده علينا ديننا الحنيف كما هو مفاد الحديث الشريف عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام: «من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو في نقصان، ومن كان إلى نقصان فالموت خير له من الحياة»، وقريب منه حديث عن الإمام علي عليه السلام وآخر عن الإمام الصادق عليه السلام كما في بحار الأنوار الجزء ٧٨ ص٢٧٧، ص٣٢٧ والجزء٧٧ ص٣٧٧ وفي دعاء يوم الأحد للإمام زين العابدين عليه السلام: «واجعل غدي وما بعده أفضل من ساعتي ويومي».

ومسيرة التقدم والتطور في حياتنا المعاصرة بوتيرة سريعة في مختلف الأصعدة والتكنولوجيا ووسائل المعرفة والإعلام والإدارة، فإذا ما تمسكنا بذات الأساليب والأدوات والمناهج الموروثة في أجوائنا العلمية والدينية، فسوف تكون المسافة الفاصلة بيننا وبين ركب التقدم المعاصر كبيرة وواسعة..

وقد انطلقت من وسط الحوزات الدينية والأجواء المرجعية صرخات مخلصة واعية تنادي بضرورة التغيير والتطوير في مناهج الدراسة الحوزوية، وأساليب التربية العلمية، وطرق التثقيف والإرشاد، ووسائل التصدي القيادي للمرجعية، وكتابات الإمام الخميني قدس سره ومواقفه تعتبر مدرسة متكاملة في هذا المجال، كما أن للمرجع الشهيد السيد الصدر قدس سره آراء وأفكار نقدية وتطويرية لواقع الحوزات والدور المرجعي، أشار إلى بعضها في مقدمة حلقاته دروس في علم الأصول، وفي أطروحته حول المرجعية الصالحة، وفي محاضرته الأخيرة التي طبعت تحت عنوان (المحنة)..

وفي إيران كان موضوع تطوير واقع المرجعية محل بحث ونقاش من قبل العديد من العلماء والمفكرين عقيب وفاة المرجع السيد البروجردي ـ رحمه الله ـ وانعقدت جلسات شارك فيها مثل المرحوم السيد الطالقاني والشهيد المطهري والمفكر محمد تقي شريعتي وغيرهم، وطبعت على أثر ذلك عدة بحوث في كتاب بعنوان (مرجعيت وروحانيت) باللغة الفارسية، وقد ترجم بحث الشيخ المطهري إلى اللغة العربية وطبع باسم (الاجتهاد في الإسلام). ولا ننسى في هذا المجال الآراء الجريئة التي بثها العلامة المرحوم الشيخ محمد جواد مغنية ضمن كتاباته المختلفة العديدة..

وقد آن الوقت لأن يكون موضوع تقديم ودراسة الواقع الحوزوي والمرجعي مدار بحث ونقاش جاد، ضمن لجان مهتمة، أو مؤتمرات هادفة، أو حوار بناء من خلال المنابر الثقافية والإعلامية.

رابعًا: للمرجعية الدينية دورها الخطير في الأمة وواقعها يؤثر تأثيرًا بالغًا على أوضاع الطائفة الشيعية، من هنا فهي ليست بعيدة عن تحمل مسؤولية ما تعيشه الطائفة من واقع وأوضاع، وإذا كانت هناك معوقات وعقبات تضعف قدرة المرجعية على التصدي القيادي فيجب أن تتحمل الطائفة جميعًا مسؤولية معالجة تلك المعوقات وإزالة العقبات.. وإذا كانت التحديات الكبيرة المعاصرة تفرض على الأمة أن تكون في مستوى الاستجابة لهذه التحديات فإن المرجعية هي المعنية بذلك بالدرجة الأولى.

لذلك فمن حق المخلصين والواعين أن يدقوا أجراس الخطر، ويبدو تخوفهم وقلقهم على مستقبل المرجعية الدينية، وأملنا في المراجع العظام، والمسؤولين الكرام في الحوزات العلمية أن لا تشغلهم مزايدات المصفقين والمؤيدين عن الإصغاء لأصوات

المخلصين الواعين.

المنبر الحسيني والدور المطلوب

■ **للمنبر الحسيني والمجالس الحسينية دور كبير واضح في واقع المجتمعات الشيعية، وباعتباركم أحد خطباء المنبر كيف تقيّمون دور وواقع المنبر والخطابة الحسينية حاليًا وهل تواكب الأوضاع والتطورات السياسية والاجتماعية؟**

□ كما هو معروف أصبح المنبر الحسيني الوسيلة المتاحة للتثقيف الجماهيري لدى الشيعة، ولعب دورًا كبيرًا في تنمية الولاء لأهل البيت عليهم السلام والانشداد النفسي لتاريخهم وذكرياتهم في أوساط المجتمع الشيعي.

وهناك عوامل وعناصر قوة كبيرة متوفرة للمنبر والمجلس الحسيني منها: الحالة الشعبية الجماهيرية لهذه الظاهرة حيث تنعقد المجالس بمبادرات أهلية لا شأن ولا دور للسلطات فيها، ويختار الناس خطباءهم وفق رغبتهم ودون تدخل من أحد، وأيضًا فتجاوب الناس وإقبالهم والتفافهم حول المجالس الحسينية وخاصة في أيام المحرم وسائر المناسبات الدينية أمر يدعو إلى الإعجاب والدهشة. كما أن الأجواء العاطفية المشحونة التي تسيطر على المجالس تجعل القلوب والنفوس مستعدة للتأثر والتفاعل مع ما يبثه الخطيب..

وبذلك تستطيع المجالس الحسينية أن تفعل الكثير، وأن تترك الأثر في الجمهور الشيعي، إلا أن هناك بعض المعوقات التي تضعف دور المنبر وقدرته على إحداث أقصى ما يمكن من تأثير، منها:

- **الظروف السياسية**، التي تحد من حرية الخطيب في طرح المواضيع المواكبة للأوضاع والمهتمة بشؤون الساعة، فما دامت الحرية الفكرية والسياسية غير متوفرة في العديد من البلدان، فإن المنبر يكون مقيدًا بما تحيطه من ظروف.. ونعرف كيف أن بعض الخطباء الذين أرادوا تبليغ رسالتهم الدينية دون مبالاة بالظروف المحيطة قد دفعوا حياتهم ثمنًا لشجاعتهم، والبعض تحملوا السجون والتنكيل والتشريد، كما حصل لخطباء إيران المجاهدين في عهد الشاه المقبور، وكما حصل في العراق.
- **الضغوط التقليدية**: حيث تصر بعض المجتمعات على التزام الخطيب بنمط وأسلوب تقليدي موروث في خطابته، وأن يكرر عليهم ما ألفوه من قصص وقضايا السيرة، دون التعرض لمشاكل المجتمع وهمومه، كما أن مقياس جودة الخطيب في هذه الأوساط التقليدية يكمن في مدى قدرته على استثارة العواطف، ومقدار رقة الصوت في طرح مآسي أهل البيت عليهم السلام. بالطبع لا بد أن نقول إن مثل هذه الضغوط بدأت في التقلص والانحسار بانتشار الوعي والفهم.
- **مستوى الخطيب وهدفيته**: فمع قدم الخطابة الحسينية عندنا، وشدة الحاجة إلى الخطباء، وانتشار المجالس الحسينية، إلا أن إعداد الخطيب يتم بشكل عفوي واندفاع وبرنامج ذاتي، فليس لدينا معاهد في حوزاتنا العلمية لإعداد الخطباء أو لتحسين مستوياتهم، وليست هناك برامج مساعدة لتربية الخطباء وتطويرهم، ومع الأسف حتى أن الفصل المختصر

حول صناعة الخطابة في كتاب المنطق للمرحوم الشيخ المظفر، عادة ما ينصرف المدرسون والطلاب عن تدريسه في الحوزات العلمية.. وكل ذلك أدى إلى أن يكون أكثر الخطباء في مجتمعاتنا ليسوا بالمستوى المطلوب من حيث نضجهم العلمي والثقافي.

- **والأمر الآخر**: **مستوى الهدف والرسالة،** فبعض الخطباء أصبح المنبر لديهم مهنة ومصدر معيشة، والبعض الآخر أصبحت الخطابة لديهم هواية واحتراف، ولا ينكر أن لدينا -والحمد للهَّ- مجموعة من الخطباء الهادفين الرساليين الذين يعتبرون المنبر وسيلة لخدمة الأهداف المقدسة، ويستثمرون المنبر في توعية الناس وتوجيههم لتحمل مسؤوليتهم الدينية والاجتماعية..

والمطلوب في هذه المرحلة الحساسة الاهتمام بوضع المنبر والمجالس الحسينية من قبل مجاميع الخطباء والجهات الواعية في الأمة ويمكن أن يتم ذلك عبر المقترحات التالية:

أولًا: أن تبدي المرجعية الدينية اهتمامًا بهذا الجانب برعاية شؤون الخطباء وتفقد أحوالهم، وتقديم التوجيهات لهم، فمثلًا إذا طلب المرجع الديني من الخطباء أن يركزوا في مجالسهم في هذا الموسم (محرمًا كان أو رمضان) على مواضيع محددة يرى أهميتها، فإن ذلك سيلقى استجابة وقبولًا من أكثر الخطباء، وقد فعل ذلك المرحوم الإمام الخميني ﰃ حيث كان يستقبل الخطباء الإيرانيين أو خطباء العاصمة طهران قبيل عشرة محرم ويوجه إليهم نصائحه وآراءه فكان ذلك مؤشرًا جيدًا مع أخذ الفوارق بعين الاعتبار.

ثانيًا: وضع برامج ضمن الحوزات العلمية لتربية الخطباء

وتنميتهم.

ثالثًا: عقد مؤتمرات عالمية أو محلية بين الخطباء لتبادل الرأي والتجارب وللمناقشة في اختيارهم المواضيع وتطوير المحتوى والأسلوب الخطابي، إننا لنتعجب من أخبار المؤتمرات التي تعقد في الغرب حول أبسط الأشياء وأسخفها كما قرأت أخيرًا عن مؤتمر حقوق المدخنين الذي انعقد في هلسنكي/ فنلندا أواخر الشهر الحادي عشر من السنة الميلادية ١٩٩٠م، والذي نشرت عنه الجرائد ووكالات الأنباء وأنه استمر يومين وحضره ١٢٠ ممثلًا عن دول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وأمريكا اللاتينية واستراليا واليابان**!!**

بينما تكون الدعوة إلى مؤتمر للخطباء أمرًا مثيرًا للاستغراب والجدل في أوساطنا**!** وقد يعتذر البعض بعدم مساعدة الظروف السياسية على مثل ذلك، لكن هذا ليس واردًا في كل مكان، فهناك بلدان يمكن لخطبائها أن يجتمعوا ويتبادلوا الرأي والتجربة.

ومن الذكريات العزيزة على نفسي في هذا المجال في سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م هاجرت إلى منطقة عبادان في خوزستان ودعوت الخطباء هناك من عبادان والقصبة إلى التعاون والاجتماع فتشكلت جمعية الخطباء كان يشارك فيها حوالي ٤٠ خطيبًا بمستوياتهم المتفاوتة، وكنا نلتقي أسبوعيًا، ونتبادل الاستفادة، ولكن اندلاع المشاكل السياسية هناك ثم وقوع الحرب مزق ذلك الشمل والاجتماع.

رابعًا: إصدار المجلات المتخصصة التي تعنى بشؤون الخطابة وقضايا الخطباء، والعالم يعج الآن بالمجلات التخصصية في مختلف المجالات الفكرية والاجتماعية، وكذلك حول الميكانيك، وحول الفن،

وحول الأزياء، وحول أغلب المجالات.. فمن المناسب جدًا صدور مجلات تهتم بأخبار الخطباء وتراجمهم الماضين منهم والمعاصرين، وبأخبار المجالس الحسينية، وبالقضايا التي تهم الخطباء من حيث محتوى الخطابة أو أسلوبها.

خامسًا: أن يتفضل الخطباء الكفوؤون الناجحون بتقديم تجاربهم وأفكارهم ليستفيد منها سائر الخطباء، كالعلامة الخطيب محمد تقي فلسفي والأستاذ الخطيب الدكتور الشيخ أحمد الوائلي والخطيب البارع الشيخ عبد الحميد المهاجري، إن آراء وتجارب مثل هؤلاء الأساتذة الرواد ستكون مفيدة ونافعة للخطباء الجدد والناشئين.

[*] الحوار الثاني[1]:

الفكر الإسلامي بحاجة إلى التجديد في كل زمان

الشيخ الصفّار:

- لا توجد حرب باردة بين «قم» و«النجف».
- نعم لتأسيس حوزة علمية في الخليج.
- الفكر المنحرف يواجه بالفكر لا بشيء آخر.

(١) الوطن: صحيفة يومية كويتية، العدد ٨١٢١/ ٢٥٦٧ السنة ٣٧، ٤ جمادى الآخرة ١٤١٩هـ= ٢٤ سبتمبر ١٩٩٨م.



طرأ على ساحة الفكر الشيعي منذ مطلع التسعينات ما يسمى بفكر «التجديد» حيث يطالب المنادون به بإعادة النظر في بعض المفاهيم والقيم، ومراجعة منهجية وأسلوب طرح الرسالة الفكرية الشيعية، لقد طالب المنادون بهذا الفكر بالاعتدال ونبذ الطائفية، وفتح قنوات الحوار والتعاون مع الآخر. وأعلنوا الحرب على بعض التقاليد التي تمارس باسم التشيع وهو غير معني بها، كما شهدت الساحة الفكرية الشيعية آراء جديدة تناقش قضايا أصولية في المذهب الشيعي «كالإمامة بالنص» و«عصمة الأئمة» و«المهدي المنتظر»، بل طالب بعض أقطاب الفكر الشيعي بمراجعة بعض الروايات المشهورة لدى المذهب التي تسهم بتعزيز الفرقة مع السنة أو تكريس النظرة السلبية لأعلامهم وأئمتهم.

وتتفاعل الساحة الفكرية الشيعية في حوارات تختلط أحيانًا الأوراق العلمية والإقليمية فيها. كما يشتد الحوار حاليًّا بين مدرسة التشدد ومدرسة الانفتاح. وخاصة أن رئيس الجمهورية الإيرانية «خاتمي» يعتبر من أنصار مدرسة الانفتاح والاعتدال.

ويدور الحوار «الشيعي - الشيعي» في مجمله على مبدأ مهم، هو

مدى قبول مناقشة ومراجعة بعض المسائل الفكرية والأصولية، ومدى إمكانية الانفتاح على الرأي الآخر، وحدود ذلك. ويتأثر هذا الحوار بما يطرأ سياسيًا على الساحة الإيرانية واللبنانية والعراقية.. بل ومؤخرًا ما يحدث في الخليج.. ويبدو للمراقب من بعيد أن هناك حربًا خفية على الزعامة الفكرية إن صح التعبير، فمن «قم» إلى «النجف» مرورًا بالأقطاب الفكرية في لبنان.. بل حتى القاعدة الشيعية في الخليج تعمل على أن يكون لها نصيب في ترتيب الأوراق الفكرية الشيعية.. وقد كان لـ «الوطن» هذا اللقاء مع الشيخ حسن الصفار.. في حوار جريء حول المستجدات الفكرية في الإطار الإسلامي عمومًا والشيعي بشكل خاص، ولم يخل الحوار من الصراحة والوضوح، وندعو قارئنا العزيز لقراءة تفاصيل الحوار عبر مناطقه الملتهبة، خصوصًا أن الشيخ حسن الصفار من رواد مدرسة التجديد ودعاة الانفتاح.

التجديد قضيتي

■ **طرأ على ساحة الفكر الشيعي في السنوات الأخيرة ما يسمى بفكر التجديد، الذي يدعو إلى الانفتاح والاعتدال والتقارب مع الآخر.. أين يقع الشيخ حسن الصفار من هذا الإطار؟!**

□ التجديد في الفكر الإسلامي حالة حصلت في الساحة الإسلامية عند كل المذاهب.. فالإسلام كإسلام لا يتغير، لكن فهم المسلمين للإسلام في بعض الحقب والظروف يحدث أن يتخلف عن مسايرة التطور الفكري والاجتماعي، وتتراكم عليه مجموعة من الأفكار والتصورات التي تعبر عن فهم متخلف من قبل بعض

المسلمين، ولكنهم ينسبونها إلى الإسلام، لكن يحتاج الفكر الإسلامي بل والإنساني بشكل عام بين فترة وأخرى إلى نوع من الانتفاضة أو الهزة أو إلى إزالة ما تراكم عليه من غبار، ودفعه لمسايرة التطور الذي يحدث في حياة المجتمع وحياة البشر، وهذه الحالة توجد في مختلف المدارس الفكرية والدينية وعلى الصعيد الإسلامي، وكل المذاهب الإسلامية أيضا في الحالة الإيجابية تعيش مثل هذه الحالة «حالة التجديد».

وفي تراثنا الإسلامي هناك بعض النصوص الواردة التي تشير إلى هذا الجانب، كالحديث المتداول: أنه على رأس كل قرن أو كل مئة سنة يبعث الله مجددا يجدد الدين للناس.

وقد لا يكون المقصود بمئة سنة الفترة الزمنية المحددة، وإنما المقصود هو بين كل حقبة زمنية وأخرى يحتاج الناس إلى مجدد يدفع بالحالة إلى مواكبة التطورات، ويزيل التراكمات التي تنشأ والغبار الذي يحصل على فهم الناس الإسلام وللدين.

بالنسبة لي تعتبر هذه القضية هي منطلق نشاطي وتحركي، فقد نشأت في بيئة دينية محافظة، ورأيت أقراني من الشباب معرضين عن الدين وعن الحالة الدينية، وهناك من استقطبته الاتجاهات المادية الوافدة، فانضموا إلى الأحزاب اليسارية من شيوعية وبعثية وقومية مختلفة كانت موجودة آنذاك، وهناك من عاشوا حياة اللامبالاة، فلا يهتمون بالجانب الديني ولا بالجانب الاجتماعي، ويمارسون التدين ممارسة تقليدية عادية، في حين تخلى البعض حتى عن هذه الممارسة وهم كثيرون.

وفي مثل هذه الأجواء بدأت أفكر أنه لا يمكن أن يكون الخلل في ذات الدين، كما لا يمكن أن تتهم هؤلاء الشباب بأن لديهم خبثًا

أو مرضًا أو انحرافًا طبيعيًا ذاتيًا، فليست المشكلة في ذات الدين ولا في ذات الناس وذات الشباب، إنما المشكلة فيما يعرض من الدين، وفي طريقة عرض الدين.

لذلك بدأت أتوجه إلى التجديد في طرح الدين، والتجديد في فهم الناس للدين. وبدأت بنفسي أولًا فحاولت أن أتعرف على حقيقة الدين، وهل الدين هو نفسه السائد عند آبائنا وأمهاتنا وفي الأجواء التي نراها أمامنا؟ أم أن هناك شيئًا أعمق وأصدق وأقرب إلى حقيقة الدين؟

طبعًا كانت هناك كتابات لعلماء مسلمين مجددين هم الذين بذروا بذور الصحوة الإسلامية المباركة الجديدة، وبالاطلاع عليها والاقتراب منها والتأمل فيها استطعت أن أتوصل إلى حقيقة أنه ينبغي أن يكون لي دور في دفع ودعم حركة التجديد الديني في المجتمع؛ من أجل أن يعرف الناس حقيقة دينهم، ومن أجل إعادة هؤلاء الناس إلى دينهم.. هؤلاء الذين تركوا دينهم وهم في الواقع لم يتركوا الدين وإنما تركوا ما سمي بالدين، وما عرف بأنه دين في بيئتهم وفي مجتمعهم.

وبدأنا ولله الحمد نمارس دورنا في هذا المجال عبر الكتابة والخطابة، وعبر اللقاء المباشر. وبتوفيق الله أسهمنا في هذه الساحة وفي هذا المجال.. نسأل الله القبول والتوفيق.

■ دعنا نتحدث عن الحرية في الإطار الفكري الشيعي، فهناك تجارب شيعية كتبت ما تعتبره تجديدًا للفكر الشيعي من خلال مراجعتها لكتب التراث الشيعي ورؤيتها لبعض الروايات والموقف من بعض القضايا، وعلى سبيل المثال ما كتبه الموسوي وأحمد الكاتب ويردده مؤخرًا الشيخ فضل الله وردود الأفعال في الإطار الشيعي. هل تعتقدون أن ما

يتم تداوله في هذا الإطار يوصف هذه المحاولات بأنها غير لائقة ويشكك بأصحابها ويصبح هناك توجه بعزلها، بمعنى تحديد الحرية الفكرية في الدائرة الشيعية؟

□ في الواقع يجب أن نفرق بين نوعين من هذه الحالات، فهناك حالة فكرية محضة بمعنى أن يكون الإنسان لديه رأي أو فكرة، والفكر لا يواجه إلا بالفكر، وإذا كانت هناك مواجهات خاطئة عبر أساليب أخرى غير المواجهة الفكرية فهي خطأ ولا يصح أن تواجه الفكر بشيء آخر. وهذه الحالات التي تكون فيها أفكار وآراء معينة لو تصفحنا تاريخ الشيعة وتاريخ أئمة الشيعة عليهم السلام لرأينا أن الأئمة كانوا يستقبلون الآراء المخالفة لهم أو التي يعتبرونها منحرفة بالحوار، وكانوا يردونها ردًا علميًا، ففي عهد الإمام جعفر الصادق عليه السلام كان هناك مجموعة ممن عرفوا بالزنادقة، وهؤلاء كانوا يدخلون على الإمام الصادق عليه السلام ويطرحون عليه تشكيكاتهم وتوجهاتهم الإلحادية، فما كان الإمام يواجههم لا بغضب ولا بانزعاج ولا بإساءة معاملة، بل بالعكس كان يفتح لهم قلبه وصدره ويتحدث معهم بكل وضوح، وهم كانوا يشيدون بهذه الأخلاق عند الإمام الصادق، حتى أن أحد تلامذة الإمام واسمه المفضل بن عمرو وقد أملى عليه الإمام الصادق رسالة مهمة وعظيمة عن التوحيد تعرف بـ «توحيد المفضّل»، وسبب إملاء الإمام لهذه الرسالة عليه أنه كان يومًا جالسًا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة المنورة فجاءه بعض هؤلاء المشككين في الدين وفي المبدأ، وكانوا يعرفون بالزنادقة والملاحدة مثل عبد الكريم بن أبي العوجاء وأمثاله فصار يتحدث بأحاديثه التشكيكية فغضب المفضل وقابله بغضب وانزعاج فالتفت إليه وقال له: «إن كنت صاحب كلام فكلمنا، وإن كنت من تلامذة جعفر بن محمد فوالله ما هكذا كان

يعاملنا، وإنا كنا لنرجع إليه فنلقي عليه كل كلامنا وأكثر مما سمعت فما كان يبدي ردة فعلك هذه».

فالأئمة عليهم السلام منهجهم في مواجهة الفكر الذي يرونه منحرفا وخاطئًا هو منهج الحوار وهو منهج المواجهة الفكرية.

وطرح الآراء وإن كانت مخالفة للسائد وإن كانت مخالفة للمألوف أمر لا يمكن منعه والوقوف أمامه، فنحن لا نستطيع أن نمنع الرأي الآخر المخالف لما نرى ونعتقد، والله سبحانه وتعالى لم يعطنا الرخصة أيضا في قمع الأفكار والآراء، فالقرآن يقول: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾[1].. ويقول أيضا جل جلاله: ﴿**الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾[2] ويقول: ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾[3].

الثقافة والعلاقات الإنسانية

■ ما دمنا نتحدث عن الدين والتجديد فلنعرج إلى الحوار الإسلامي - الإسلامي فلا شك أن الصحوة الإسلامية خاضت تجربة غنية جدًا، وخلال هذه التجربة واجهت عوائق متنوعة ضد ما كانت تطرح من أفكار، وواجهت كذلك أنظمة سياسية تعاملت معها بشكل معين أدى إلى تأخر تقدمها في مرحلة ما، ثم كان هذا الانفتاح الذي نراه حاليًا في العالم العربي والعالم أجمع.

الحوار الإسلامي - الإسلامي ليس فقط بين المذاهب

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٢) سورة الزمر، الآية: ١٨.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

المختلفة إنما حتى في المذهب الواحد نجد أن هناك قصورا في قضية الحوار وإمكاناته فأين منشأ هذه القضية؟

☐ في ظني أن المنشأ عاملان: **العامل الأول**: يرتبط بالوعي الحياتي للكثير من أوساطنا ومجتمعاتنا ففيه ضعف كثير، إن من يعي الحياة ويعي طبيعة الإنسان وطبيعة المجتمع ويعي التطورات التي حصلت، فإن وعيه يدفعه لكي ينهج منهج الانفتاح والحوار مع الآخرين أما حينما يعيش الإنسان ضمن أفكار مقولبة وضمن أشياء جاهزة يؤمن بها فهذا دليل على أن وعيه ضعيف؛ لذلك لا يسعى للانفتاح على الآخرين والاستفادة مما عندهم وإقناعهم بما عنده هو، فالعامل الأول هو عامل الوعي. **أما العامل الثاني** فهو عامل الأخلاق الاجتماعية حيث يبدو أن تخلف أو تقدم أي أمة رهن لجانبين:

جانب الفكر والثقافة، وجانب نمط العلاقة السائدة. وتعاني مجتمعاتنا كثيرًا من التخلف في هذا المجال وهو نمط العلاقات السائدة بينها؛ لذلك يصعب علينا التعاون، ويصعب علينا التفاهم، ويصعب علينا أن نخدم مصالحنا المشتركة، وهذا ناتج عن التخلف، فعاملا ضعف الوعي والتخلف الأخلاقي بمعنى أخلاق التعامل والتعاطي، هما وراء ضيق الأفق، ووراء التمنع عن الحوار وعن الانفتاح.

الحوار مع الآخر

في الواقع الإنسان حينما تكون له فكرة، أو يكون له رأي هل يريد أن يضلل نفسه فيقتنع ويأخذ فكرة خاطئة، إنه كالإنسان المريض الذي يصيبه الداء، فلماذا يتناول الدواء أليس من أجل

الصحة، لذلك يجب أن يبحث عن الدواء الذي يوصله إلى الصحة.. أنا أريد الفكرة التي توصلني إلى الحقيقة لذلك علي أن أتأكد أن الفكرة التي عندي هي الطريق السليم إلى الحقيقة فكيف أتأكد من ذلك؟

من الطرق الأساسية للتأكد أن أطلع على الأفكار الأخرى حتى أتأكد أن فكرتي هي الصحيحة، أو أن هناك فكرة أخرى هي الصحيحة، أو أصح من فكرتي، فالإنسان من أجل ذاته هو يجب أن ينفتح على الأفكار الأخرى.

إن الشخص منا عندما يذهب ليشتري أي سلعة فإنه يحاول الاطلاع على الخيارات المختلفة ولا يقبل بأول خيار يطرح أمامه، لأنه يريد أن يتأكد أن السلعة التي يأخذها هي الأفضل.

هذا كمثال..

أما في الجانب الفكري فيجب أن نكون أحرص على صحة أفكارنا وعلى صوابها لذلك هناك كلمة جميلة تنقل عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام يقول: «عجبت لمن يفكر في مأكوله كيف لا يفكر في معقوله فيجنب بطنه ما يؤذيه ويدخل إلى عقله ما يرديه» ففي الجانب الفكري حينما أسمع فكرة يجب أن أتأكد منها. ومن منهجية التأكد أن أطلع على الأفكار الأخرى. واطلاعي على الفكرة الأخرى إما أن يؤكد لي صحة فكرتي أو يكشف لي عن صحة الفكرة الأخرى، وأينما وجدت الحق يجب أن آخذه حتى ولو كان عند غيري.

المصالح المشتركة

■ **في الإطار السني - الشيعي من أين تكون البداية؟**

□ في الواقع هناك نقاش حول من أين يبدأ الحوار، حيث يرى

البعض أن الحوار يجب أن يبدأ من الجانب العقائدي باعتبار أن مواقف كل طرف أو كل مذهب من المذاهب تعتمد على معتقداته فنبدأ الحوار من الجانب العقائدي، وهناك علماء يؤمنون بهذا الرأي والطرح. وهناك رأي ثانٍ آخر يرى أن الحوار ينبغي أن يكون من خلال أصول الفقه والتشريع على اعتبار أن العقائد والأفكار تكون حالة نفسية ذهنية، بينما يكون التشريع هو الحالة المعاشة بين الناس، ولا يمكن أن نتحاور حول المسائل الفقهية المختلف لأنها تعتمد على مبان معينة ولنتناقش حول هذه المباني وهي أصول الفقه. أما الطرح الثالث فهو أن يبدأ الحوار من أرض المصالح المشتركة والواقع المعاش الذي تعيشه الأمة، وأنا شخصيًا أفضل أن يبدأ الحوار من هذا المجال وليس في المجالين السابقين لأمرين مهمين:

أولهما: لخطورة الوضع الذي يحيط بأمتنا العربية والإسلامية في هذا العصر والتحديات والمخاطر التي تحف بنا، وهذا يوجب علينا أن نتحاور من أجل أن نحفظ أنفسنا، فكلنا نستقل طائرة واحدة وسفينة واحدة إذا أصابنا الغرق أو العطب فسنغرق كلنا بمختلف عقائدنا ومذاهبنا وآرائنا، فلنعمل أولًا على حفظ هذه السفينة التي نمتطيها فنبدأ الحوار حول مصالحنا المشتركة وحول القضايا المعاشة التي تحيط بنا لأنها الأكثر خطورة وحساسية.

ثانيهما: لأنها تمهد لنا نفسيًا وفكريًا واجتماعيًا للحوار في بقية الجوانب. وحينما نجيد التحاور والتفاهم حول المصالح المشتركة هذا يجعل أنفسنا مهيأة من أجل أن نتحاور في أمور أصول الفقه.. وفي أمور العقيدة وفي كل الأمور.

إذا بدأنا من المصالح المشتركة يسهل علينا بعد الانتقال للحوار العقائدي وفي مباني الفقه، بينما في رأيي الشخصي إذا بدأنا من تلك

الحقول فهذا سيشغلنا عن واقعنا الذي لا يتحمل التأخير في التوجه إليه، وفي معالجة قضاياه، وقد يسبب بعض التشنجات لأن النفوس غير مهيأة.

البداية من الرموز الفكرية

■ **فيما تعتقد أن المبادرة تبدأ من رموز فكرية أو مؤسسات فكرية، فمن الذي يبدأ بالحوار ويبادر بمناداة الطرف الآخر، هل الأسلم لهذه المبادرات أن تكون من خلال رموز شعبية فكرية أم من خلال مؤسسات ومنشآت فكرية؟**

□ في الواقع الرموز الفكرية لها تأثير جماهيري واجتماعي، وهي التي يجب أن تبادر بالحوار، وكان هذا هو المؤمل من رجالات الصحوة الإسلامية والحركة الإسلامية، فالصحوة الإسلامية ليست موجودة عند الشيعة دون السنة ولا السنة دون الشيعة، فبالتالي هناك صحوة إسلامية عند السنة والشيعة، ورجالات الصحوة الإسلامية عند المذاهب الإسلامية بشكل عام معنيون بالحوار، فإن رجالات الإسلام الواعين الذين يتبنون حالة الصحوة الإسلامية ينبغي أن يبدأ الحوار منهم. كما أعتقد أن المؤسسات الرسمية خاصة عندنا في منطقة الخليج والجزيرة العربية معنية بالحوار كذلك، فالأنظمة والحكومات عندنا تدرك الأخطار المحيطة بهذه المنطقة، وقد واجهت المشاكل السياسية، الداخلية والخارجية في المرحلة الماضية، وأنا آمل أن تكون هذه الأنظمة مشجعة لحالة الحوار بين أتباع المذاهب الموجودين في هذه المنطقة؛ لأن هذا هو الذي يضمن تلاحم أبناء المنطقة مع بعضهم البعض وتصديهم للأخطار. ولذلك أتمنى أن تكون من اهتمامات مجلس التعاون الخليجي والحكومات في دول

الخليج أن تشجع حالة الانفتاح بين المذاهب السائدة في أوساط مجتمعات الخليج وشعوب الخليج.

فنحن نعرف أن هناك من ينتمي إلى المذهب الزيدي، والمذهب الإباضي، ومن ينتمي إلى المذهب الاثني عشري الشيعي، ومن ينتمي إلى المذاهب الأربعة من أهل السنة، وكلهم يعيشون في هذه المنطقة، وهناك قوى خارج المنطقة تتربص بهذه المنطقة، وإذا لم يكن هناك تعاون وانفتاح فإن هذه الخلافات المذهبية قد تكون ثغرة للقوى الخارجية الأخرى تنفذ منها للعبث في أمن منطقتنا وبلادنا؛ فحكومات المنطقة أيضا ينبغي أن تشجع وتدفع باتجاه الحوار والانفتاح المذهبي.

بين قم والنجف

■ **ننتقل قليلًا عن هذا الإطار ونتحدث حول ما يطرح في الساحة الفكرية الشيعية بما يسمى جدلًا بالحرب الباردة بين «قم» و«النجف» فإن كان هذا الوقع موجودا فهل باعتقادكم له أسباب ومنشأ علمي أم أن هناك أسبابا إقليمية بمعنى بين المدرسة الإيرانية والمدرسة العراقية؟**

□ أنا لا أعتقد أنه في هذه المرحلة هناك حرب باردة بين النجف وقم؛ لأن النجف دورها الآن شبه مجمد ومعطل في ظل النظام العراقي، والحوزة العلمية في قم هي الحوزة البارزة والتي تحتضن الآن الدراسات الدينية الشيعية وتحتضن العلماء والمراجع.. وصحيح أنه في النجف الأشرف هناك مراجع وهناك مجموعة من الطلاب لكنهم لا يأمنون حتى على أنفسهم، وكما عرفنا خلال الأشهر الماضية أن أكثر من عالم تعرض للاغتيال والتصفية، والعلماء الموجودون الآن

في النجف والمراجع الكبار غير آمنين على أنفسهم، ولذلك أغلقوا على أنفسهم بيوتهم وما عادوا يستقبلون الزوار ولا يخرجون من بيوتهم. ففي ظل وضع كهذا ليس هناك حديث عن حرب باردة بين النجف وقم.

حوزة علمية في الخليج

■ مادمنا نتحدث عن الحوزات العلمية ما رأيكم فيما يطرح حول إقامة أو ضرورة وجود حوزة علمية في الخليج؟

□ أنا أعتقد بضرورة هذا الأمر، وأعتقد بضرورة وجود حوزات دينية للشيعة في كل منطقة من مناطقهم؛ وذلك لأن من يرتادون الحوزة العلمية غالبًا من مقتبل العمر، وهذا الشاب الذي يكون متحمسًا دينيًا إذا لم نوفر له الدراسة الدينية في بلده وفي ظروف أوضاع بلده ويخرج إلى بلدان أخرى فلا نعرف كيف سيكون وضعه، وما هي الأجواء التي سيعيش فيها في تلك البلدان؟ ويبقى لفترة طويلة هناك ثم يعود غير مواكب للظروف المتطورة والمتغيرة في مجتمعه. فمن الأفضل أن تكون هناك حوزات علمية للشيعة في مناطقهم في الخليج والجزيرة العربية، فطلاب العلوم يدرسون دراساتهم الأولية في هذه الحوزات وإذا احتاجوا للدراسات العليا يكون الطالب قد كبر نوعًا ما، ونضجت شخصيته، وتجاوز فترة الشباب والمراهقة والعنفوان وفيما بعد ليس هناك أي مشكلة في أن يسافر إلى أي بلد آخر لمواصلة دراسته العليا.

لكن بسبب عدم وجود حوزات علمية دينية للشيعة في الخليج والجزيرة العربية فإن أي شخص يرغب في الدراسة الدينية في مقتبل

العمر فعليه أن يهاجر من بلده إلى منطقة أخرى وهو في هذا العمر، ويعيش في جو آخر يختلف عن جو بلده وظروف بلده السياسية والاجتماعية والفكرية، وقد يحصل أنه يعيش حالة من الإرباك أو حالة من عدم النضج في أخذ ما يجب أخذه أو ترك ما ينبغي تركه، فالأفضل أن تكون هذه الحوزات في مناطق الشيعة.

أسباب علمية وسياسية

■ **ما هي أسباب عدم وجود هذه الحوزات. هل هي أسباب سياسية أم علمية؟**

□ في بعض الأحيان أسباب علمية لأن وجود حوزة يحتاج إلى وجود عدد من العلماء المتفرغين للتدريس، والعلماء في هذه المناطق قلة. والموجود منهم منشغل بمهامه الاجتماعية. وفي بعض الأحيان يكون السبب عدم وضوح أهمية وجود الحوزة أمام الجهات الحاكمة وأمام الأنظمة والحكومات مما يجعلهم لا يشجعون مثل هذا الأمر.

■ **هل هناك تفكير جاد لإيجاد مثل هذه الحوزات في الخليج مستقبلاً؟**

□ هناك بدايات طيبة الآن لكنها تحتاج للتشجيع والوقت حتى تنمو بشكل أفضل، فمثلا في الكويت منذ عام ١٩٧١ كانت هناك تجربة إيجاد حوزة دينية حينما كان هنا الإمام السيد محمد الشيرازي فقد أنشأ مدرسة دينية وأقمت أنا فيها عدة سنوات وكانت محاولة رائدة وجيدة، وتوجد الآن محاولات في مختلف مناطق دول الخليج والجزيرة العربية بهذا المنحى، لكنها تحتاج إلى دعم أكثر من قبل الناس وتشجيع من قبل الحكومات في هذه المنطقة.

المرأة والرجل مواقع متساوية

■ **ننتقل الآن إلى المرأة وموقعها في الفكر الشيعي، وتعليقًا على قضية المرأة هناك تحفز غير مفهوم ودفاع مستميت عن قضية المتعة؟**

□ من نافلة القول أن نقول أن المرأة في الإسلام هي في نفس موقع الرجل وليس هناك فارق بين قيمة الرجل وبين دور الرجل أو قيمة ودور المرأة. وفي النصوص الإسلامية من خلال القرآن ومن خلال الأحاديث والروايات، ومن خلال سيرة المسلمين الأوائل ليس هناك فارق بين الرجل والمرأة، وهذه الفوارق التي نراها عمليًا في حياة المسلمين بين الرجل والمرأة هي ليست من الإسلام وإنما هي من وحي الأعراف والتقاليد والتخلف العام الذي تعيشه المجتمعات لكنه نسب إلى الإسلام، وهذا الواقع ليس من الإسلام وبعيد عنه.

المرأة في مختلف الجوانب سواء في الجانب السياسي أو في الجانب الاجتماعي أو في الجانب العلمي شأنها كشأن الرجل تمامًا إلا ما استثني وهو قليل جدًا، ولذلك تجد أن هناك الآن طروحات جديدة وجادة لتجاوز هذه الهوة المصطنعة بين موقع الرجل وموقع المرأة في المجتمع الإسلامي.

تعلمون أنه الآن في إيران هناك انتخابات مجلس الخبراء وهو المجلس الذي ينتخب القيادة. والآن هناك كلام جاد في الساحة الإيرانية بأنه ينبغي أن تترشح المرأة ويكون لها الحق في الترشيح لمجلس الخبراء، وفي دستور الجمهورية الإسلامية في إيران ليس هناك ما يمنع أن تترشح المرأة في هذا المجلس وهو أعلى هيئة تنتخب القيادة في إيران وتشرف على سير القيادة.

ومن الناحية الفقهية هناك نقاش بين علمائنا حول جواز تقليد

المرأة أم لا، ونحن لدينا شيء اسمه المرجع وهو الذي يقلد وكل الفقهاء في مقام الاستقلال والنقاش يقولون ليس هناك مانع من الناحية الشرعية لتقليد المرأة لأن العمومات الواردة ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾(١) ليس فيها تقييد بشرط أن أهل الذكر من الرجال.. الروايات والنصوص الواردة بالرجوع إلى العلماء وتقدير العلماء والعلم أيضا ليست خاصة بالرجال دون النساء فيقول القرآن الحكيم: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾(٢) ويميز القرآن العالم على الجاهل سواء كان رجلًا أو امرأة. وفي تاريخنا كان للمرأة دور قيادي سياسي وعلمي ديني أيضا، ونحن حينما نتحدث عن قضية كربلاء وعاشوراء نذكر أن الإمام الحسين عليه السلام أوصى إلى أخته السيدة زينب وكانت بعد استشهاد الحسين هي مرجع الشيعة لأن الإمام زين العابدين علي بن الحسين كان مريضًا أيضًا، فكان الشيعة يرجعون إلى السيدة زينب. وعندنا عدة قضايا أيضًا في تاريخ أئمتنا كانوا يأمرون بالرجوع إلى النساء في بعض المسائل مما يدل على أن أخذ المرأة لموقع أن تكون مرجعا للتقليد أو مصدرًا للفتوى الشرعية لا مانع فيه.

المرأة والسياسة

والدور السياسي واضح منذ العهد الإسلامي الأول بدءًا بموقف السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام التي كانت صاحبة رأي سياسي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والسيدة عائشة رضي الله عنها أيضًا لها رأي سياسي يخالف رأي الخليفة الإمام علي عليه السلام، وانتهاء بالكثير من

(١) سورة النحل، الآية: ٤٣.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

الأحداث التي كان للمرأة فيها دور ومشاركة سياسية.

فالحالة الموجودة من تفاوت بين موقع الرجل والمرأة بحيث تكون المرأة محصورة بأعمال البيت فقط هذه حالة ليست نابعة من الإسلام، وإنما هي نابعة من الأعراف والتقاليد في المجتمعات الحديثة. وبالمناسبة فأنا لدي كتاب مطبوع في هذا المجال تحت عنوان «مسؤولية المرأة» وفيه مناقشة لهذه الجوانب.

حول المتعة

أما فيما يرتبط بموضوع المتعة فأنا شخصيًا أتقزز كثيرًا من تكرار طرح هذا الموضوع ومن المبالغة في الدفاع عنه، وأعتقد أن الطرفين شريكان، فالطرف الذي يطرح هذه الإشكالية ويشهر بهذا الموضوع ويعتبر أن قول المذهب الشيعي بجواز المتعة موجب للتشهير والعيب بالشيعة لأنهم يقومون بإباحة المتعة فهذا التشهير يندرج في إطار الإثارات الطائفية. والكل يعرف أن قضية المتعة ليست خاصة بالمذهب الشيعي فهي مذكورة في القرآن الحكيم، وهي مذكورة في صحيح البخاري، ومذكورة في صحيح مسلم. وأصل تشريع المتعة يعترف به الجميع إنما الخلاف أنها نسخت أم لم تنسخ، فما دامت المسألة موجودة في القرآن وفي الأحاديث الصحيحة الواردة عن رسول الله ﷺ فالقائل بها لم يبتدع شيئًا، وكلنا نعترف بأن هذا الأمر كان مشرعًا لكن هل نسخ في عهد رسول الله ﷺ كما تشير الروايات الواردة في صحيح البخاري وصحيح مسلم، أم أن النسخ كان في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب كما تشير روايات أخرى؟ فما دامت المسألة فقهية تبحث في كتاب فقه النكاح ولها أصل في الشرع فلماذا تؤخذ كمادة للتشهير وللإعابة.

وفي الجانب الآخر بالنسبة لنا نحن الشيعة في بعض الأحيان

يحدث استدراج لهذه الإثارة، وأنا عندما أجد أن هناك تشهيرًا أحاول الدفاع عن نفسي. وأيضًا رأيي وموقفي من مجمل التصرفين الأول والثاني أنهما جعلا الاهتمام بهذا الأمر وكأنه هو قضية القضايا ومشكلة المشاكل.

من الناحية الرسمية الآن في الجمهورية الإسلامية في إيران زواج المتعة غير مشروع قانونيًا وغير متناول. وحينما نأتي إلى الكلام من الناحية الاجتماعية، وهل لهذا التشريع أضرار أو منافع فهذا أيضًا يكون بحثًا موضوعيًا. أما أن نأخذ القضية وكأنها عنوان للمذهب الشيعي، ويأخذها الشيعة وكأنها معركة رئيسية لهم، فهذا شيء لا داعي له ومثير للاشمئزاز والتقزز.

بين التراث السني والشيعي

■ بالنسبة إلى مراجع الفقه والتراث الشيعي هناك من يعتقد بأنها بحاجة لمراجعة أملًا بتنقيتها من بعض الروايات المكتوبة والتي تزيد من حجم المسافة ما بين المذهب الشيعي والمذاهب الأخرى وهذه مسيرة طويلة، ألا تعتقدون بأن هذا المشروع يستحق من ينبري له بجد؟

□ في الواقع كل التراث الإسلامي سواء كانت المصادر عند الشيعة أو عند السنة تحتاج إلى تنقية وغربلة، وبعضها يحتاج إلى التوثق من صحته وصدوره، وبعضها يحتاج إلى إعادة النظر في فهمنا للنص حتى على تقدير صحة النص فكيف نفهمه، فكل التراث سواء كان ما عند السنة وما عند الشيعة يحتاج لبحث، لكن الملفت للنظر أننا نهرب من النقد الذاتي وكل واحد يوجه نقده للآخر وليس لذاته فالشيعي ينتقد ما في تراث أهل السنة، لكنه لا يتحلى بالجرأة لكي

ينقد تراثه هو، والسني أيضًا ينقد ما في تراث الشيعة ولا يتحلى بالجرأة لينقد ما عنده هو من تراث أيضًا ويعيد النظر فيه، وفي الحقيقة كل تراثنا السني والشيعي بحاجة إلى إعادة نظر.

ومما يساعد على إعادة النظر في التراث الشيعي أن الشيعة ليس عندهم صحاح، وإذا كان أهل السنة عندهم الصحاح الخمسة أو الصحاح الستة وإذا كان هناك صحيح البخاري وصحيح مسلم، فالشيعة ليس عندهم مصدر تراثي يعتبرونه صحيحًا وإنما يرون أن كل ما في مصادرهم خاضع للبحث والنقاش، فمثلًا الكتب الأربعة عندنا نحن الشيعة والتي تعتبر مصادر: الكافي، والتهذيب، والاستبصار، ومن لا يحضره الفقيه، وهذه الكتب الأربعة عندنا نعتمدها كمصادر وكل فقيه من الفقهاء وكل مرجع حينما يأتي يجب أن يجتهد في كل رواية في هذه المصادر ولا يصح له أن يعتمد على أن هذه الروايات صححها الكليني أو الطوسي، وبناءً على ذلك يعمل بها، وإنما يجب أن يُعْمِل رأيه واجتهاده فيها. وقد ألف أحد العلماء المعاصرين كتابا سماه «صحيح الكافي» يحوي منتخب الروايات التي يراها صحيحة اعتبرها صحيح الكافي فاعترض عليه سائر العلماء؛ لأن هذا صحيح في نظرك أنت وليس صحيحًا في نظر المجتهدين وقد يختلفون معك في الرأي، فليس هناك ما هو مقطوع أو مسلم به في كتب التراث إلا بعد الدراسة والبحث والاجتهاد، وهذا ما يسهل على الشيعة مهمة المراجعة ومهمة إعادة النظر في بعض الروايات سواء في صحة سندها وثبوت ورودها، أو في فهمهم لها.

ولكن قد يكون بالنسبة لإخواننا أهل السنة نوع من الصعوبة لأن بعض الصحاح وخاصة صحيح البخاري وصحيح مسلم أصبح لهما مكانة في النفوس وثقة عند العلماء بحيث يصعب مخالفة شيء مما ورد فيها.

ومن وجهة نظرنا نرى أنه مفروض أن يكون هناك مجال لإعادة النظر في كل ما ورد. والمقطوع به هو كتاب الله سبحانه وتعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ما عدا ذلك فالاحتمالات واردة أما في صحة ورود النص أو في فهمنا للنص.

مخالفات باسم عاشوراء

> ■ **«عاشوراء» مناسبة سنوية يتناول فيها الشيعة بشكل مكرر وتقليدي تفاصيل «كربلاء» ويتم فيها استنفار القاعدة الشيعية عاطفيًّا ومذهبيًّا بشكل يراه البعض لا يخدم حتى حقيقة الفكر الشيعي، وما يصاحب أجواء المناسبة من لبس الأسود، وملابس للأطفال يكتب عليها «يا لثارات الحسين» .. هذا الاستهلاك السنوي.. ماذا يجني منه المسلمون والأمة الإسلامية.. ألا يمكن تغيير استثمار هذه المناسبة بشعارات تنموية وإيجابية تسد حاجة المسلمين. وتنشئ مشروعًا خيريًا، وتناقش مشاكل الأمة وما تواجهه من مخاطر؟!**

□ في الواقع الحديث عن عاشوراء عند الشيعة له بعدان: هناك بعد المفروض وهناك بعد الواقع في الممارسة المعاشة، بالنسبة لبعد الواقع والممارسة المعاشة، بالفعل هناك الكثير مما يستوجب النقد ومما يستوجب التغيير والتجديد سواء كان في الخطاب الذي يتم على المنبر في المحرم أو في الأجواء العامة التي تحيط بالمناسبة، وهناك ما يستوجب النقد والتطوير، وهذا مطروح حتى في داخل المذهب ومن قبل علماء ومفكري المذهب. لكن الجانب الآخر حول أصل الموضوع، أصل المناسبة لماذا يحتفى بمناسبة عاشوراء؟

عاشوراء هي مناسبة سنوية لتجديد الولاء لأهل البيت النبوي، وهذا في الأصل لا غبار عليه، وهناك مناسبة أخرى في شهر ربيع الأول عند كثير من المسلمين حول ميلاد الرسول ﷺ وعلى صحبه، والمسلمون في مختلف المناطق يحيون هذه المناسبة باحتفالات وعطلة رسمية في مختلف الدول الإسلامية، وهناك محطات زمنية يستذكر المسلمون من خلالها معالم تاريخهم ويجددون العهد بشخصيات دينهم ومبدئهم، هذا في الأصل لا غبار عليه، وإنما الإشكال في طريقة الإحياء وطريقة الممارسة، والنقطة الثانية بالنسبة لِـ «عاشوراء» وما يصاحبها من الحالة الروحية والعاطفية التي تحيط بها فيمكن استثمارها استثمارا «جيدًا» فيما ينفع الناس وينفع هذه البلدان وينفع هذه الشعوب، وأعتقد أن هناك تطبيقات لهذا الأمر، فعندنا الآن بعض الخطباء الأكفاء الذين يطرحون خطابات جيدة ومنفتحة ومتنورة ويفيدون المجتمع من خلال هذه الخطابات.

عاشوراء في الإطار التربوي

ونحن نلحظ أن هناك جانبًا آخر لإحياء هذه المناسبة، فنحن نرى أن إحياء هذه المناسبة يساعدنا كثيرا في الوقوف أمام هذا السيل الجارف من الأفكار المادية والشهوانية في مجتمعاتنا، ونلحظ نحن أثر هذه المناسبة؛ لأن الشباب ذكورا أو إناثا خلال هذه الأيام العشرة يعيشون هذه الأجواء الدينية ويستمعون إلى الخطابات ويسمعون قضايا الدين والتاريخ والأخلاق، وهو مفيد جدًا. ونرصد نحن في مجتمعاتنا المعطيات الإيجابية في هذا الموسم لكل عام، بحيث لو لم يكن هذا الموسم وهذه التعبئة الدينية الروحية لكان الوضع في مجتمعاتنا من الناحية الأخلاقية والاجتماعية والدينية أسوأ بكثير مما هو عليه.

ولكن هذا لا يعني القبول بكل ما يجري، ولا يصح أن نكتفي بأساليب ووسائل كانت متداولة عند آبائنا وأجدادنا مع تطور الزمن والعصر، وينبغي أيضا أن تتطور الوسائل والأساليب، وهذا الآن مطروح، لكن كما تعلمون عامة الناس والجمهور حينما يألف طقوسًا معينة لا يكون التغيير فيها أمرًا سهلًا، خاصة أن هناك قوى تقليدية تواجه أي محاولة للتغيير والتطوير، ونحن مثلا جربنا طرح مشروع التبرع بالدم في أيام المحرم ونجح هذا المشروع والإقبال كان شديدا بحيث لا نستطيع استيعاب المتبرعين بدمائهم في هذه المناسبة، مثل هذه المشاريع تمثل جانبا من جوانب الاستفادة من هذه المناسبة وأنا أؤيد الرأي الذي ذكرتموه وأدعو له أيضا وطرحته في بعض محاضراتي.

إننا في كل سنة أيام عاشوراء ينبغي أن نفكر في شعار بعنوان تتمحور حوله الخطابات والأطروحات، ونعبئ المجتمع باتجاهه، فمرة مثلا حول الوحدة الوطنية والوحدة الإسلامية، وفي سنة أخرى يكون حول رفع الكفاءات، وفي سنة أخرى يكون حول مواجهة حالة البطالة وقضايا التنمية. نحن نرى هذا الرأي، ونرى أيضًا في كل سنة أن نطرح مشروعا اجتماعيا ينتج عن هذه المناسبة كأن يتبنى المجتمع دور الأيتام، ومرة أخرى مراكز للأبحاث وهكذا. وهذه الأفكار نطرحها وهي موجودة في الساحة لكنها الآن في حالة مخاض لمواجهة الموروث والمألوف والمتعارف عليه.

أولويات العمل الإسلامي

■ العمل الإسلامي في الخليج أو ما يسمى بالتيار الإسلامي ماذا ينقصه.. هل التنسيق بين فصائله أو

الانفتاح على الجمهور للدخول في مشاريع التنمية.. وهذا التيار الإسلامي المتنوع في مدارسه سواء الفكري أو المذهبي ماذا ينقصه؟

☐ في الواقع ما ينقص هذا التيار في تصوري عدة أمور:

الأمر الأول: الأولويات الاجتماعية والمحلية إن صح التعبير، فغالب التيارات الإسلامية والتوجهات الإسلامية الموجودة في الخليج هي بالأصل مدارس فكرية انبثقت في مناطق أخرى، فبالتالي قد نلحظ أنها نقلت اهتمامات وأولويات المناطق الأخرى إلى مناطقها، ولم تأخذ الواقع المحلي كثيرا بعين الاعتبار. نحن نحتاج إلى أن تتأقلم هذه الجهات الإسلامية أو التيارات الإسلامية مع محيطها وتجعل أولوياتها هي أولويات مناطقها ومجتمعاتها هذه النقطة الأولى.

والنقطة الثانية: هي موضوع التنسيق والانفتاح مع تنوع الاتجاهات ومع تنوع الحالة المذهبية، بشكل عام يجب أن يكون هناك انفتاح بين هذه التوجهات المختلفة.

والموضوع الثالث: ما أشرتم إليه وهو مسألة التنمية ومشاركتها في التنمية وفي تنمية هذه المجتمعات، وفي معالجة التحديات التي تعيشها هذه المجتمعات.

وأضيف إلى ذلك شيئًا آخر رابعًا، وهو: التجديد الفكري، فمجتمعاتنا في الخليج مجتمعات محافظة وذلك الفكر المحافظ متكرس في ساحتنا أكثر من أي منطقة أخرى، والحركة الإسلامية ينبغي أن تقوم بعملية توعية وتجديد وتفهيم الناس حركة دينهم بما يتناسب مع هذا العصر ومع ما يتناسب مع هذه التطورات، والبقاء على الفهم السابق وعلى المصطلحات السابقة وطرح الاهتمامات والأولويات القديمة وما تعاني منه الكثير من ساحاته هذا يكون

عائقا لتطور الحالة الإسلامية والصحوة الإسلامية، فأعتقد هذه الأمور الأربعة هي ما تحتاجه الحالة الإسلامية



[*] الحوار الثالث[1]:

شهر رمضان بين حق الله وحق الناس

---

(١) «شهر الله»: مجلة ثقافية سنوية تصدر من بيروت في شهر رمضان المبارك، العدد السادس، شهر رمضان ١٤٢٠هـ = ١٩٩٩م.



■ سماحة العلامة المجاهد الشيخ حسن الصفار ـ دام عزه ـ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلًا وسهلًا بكم في هذا اللقاء، كما نهنئكم بحلول الشهر الكريم رمضان المبارك، أعاده الله علينا وعليكم باليمن والغفران والبركات.

الهلال والإرباكات الشائكة

■ تحصل الكثير من الإرباكات الشائكة في الساحة الإسلامية في قضية الهلال، حيث نرى من يصوم ومن لا يصوم ونرى من يفطر ومن لا يفطر، أما من صوت مرشد لوقف هذا التقاطع بين المسلمين؟

□ الصوم والإفطار مسألة شرعية لا بد فيها من الاعتماد على الضوابط التي وضعها الشرع لتحديد التكليف فيها، فهناك ضوابط يجب بمقتضاها الصوم أو الإفطار على المكلف ولا يصح أن تكون مسرحًا للرغبات والانتماءات والحساسيات فإذا ما شخَّص المكلف أن واجبه الصوم أو الإفطار وفقًا للضوابط الشرعية فعليه الالتزام

بتكليفه. وعلى الآخرين أن يلتزموا بتكليفهم إذا اختلف التشخيص في تحقق تلك الضوابط،وليعذر كل واحد الآخر ولا داعي أن تدخل في القضية الصراعات والاتهامات المتبادلة ولا أن تكون سببًا للتشنج.

إن مجتمعاتنا بحاجة ماسة للوعي باحترام الرأي الآخر والاعتراف به، وخاصة في المجال الديني القائم على أساس الاقتناع والاطمئنان ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾[1].

ويبدو لي أن الاختلاف في موضوع الهلال سيستمر ما دامت المسألة تعتمد على الثقة والاطمئنان بالرؤية، نعم إذا عولجت قضية الاعتماد على العلم والقول الدقيق للفلكيين والمراصد الفلكية، إذا عولجت من الناحية الفقهية وأفتى المراجع بذلك فسيكون في ذلك الحل والعلاج.

التوقف عند محطات الزمن

■ **حتى نعرف كيف نتوقف عند محطات الزمن،كيف نستقبل هلال شهر الله الكريم؟**

□ يجب أن نستقبل شهر الله الكريم بالاستعداد لجرد الحساب مع الذات، فكما لكل مؤسسة موعد سنوي لجرد حساباتها ومراجعة أمورها، كذلك على كل إنسان مسلم أن يتوقف عند هذه المحطة الزمنية المباركة لمحاسبة نفسه، والأحاديث الشريفة تأمرنا بمحاسبة أنفسنا كل يوم وليلة، لكن شهر رمضان بخصائصه ونفحاته هو أفضل محطة للمحاسبة والمراجعة والتقويم السنوي.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦ .

ليكتشف الإنسان خبايا ذاته،ويتأمل صورة نفسه الحقيقية، ليرى نقاط ضعفه، ومواقع قوته، ثم يبدأ التخطيط لتلافي نقاط الضعف، وتنمية مواقع القوة ويضع له برنامجًا لسنته القادمة.

فبالاستعداد للمحاسبة والمراجعة والتقويم، والعزم على التطوير والتخطيط والبرمجة يجب أن نستقبل هذا الشهر الكريم.

برامج شهر الله

■ **شهر الله محطة زمانية يتخذها المسلمون للتزود بالوقود الروحي والمعرفي والثقافي وغيره، ليتجهوا إلى الله والآخرة. كيف نؤسس هذه البرامج الرمضانية؟**

□ البرامج الروحية والمعرفية لشهر رمضان المبارك يجب أن تخضع للدراسة والتقويم والتطوير، لا أن تكون روتينية تقليدية نتوارث أساليبها دون أخذ المستجدات والاحتياجات بعين الاعتبار، ولا شك أن مستجدات كثيرة تحدث، ومشاكل عديدة تحصل في المجتمع، وليست أوضاع اليوم كالأمس، ولا معاناة هذا الجيل كالجيل السابق.

ونحن نرى كيف أن الجامعات والمدارس التعليمية تراجع مناهجها كل عام أو بين عام وآخر. فلماذا نحن نصر على نوعية معينة من الأساليب والبرامج دون تغيير أو تطوير. إن المحتوى والجوهر يجب الحفاظ عليه،أما الأسلوب والطريقة فلا بد وأن يخضع للتطور حسب المتطلبات.

محطة فضائية

■ **في شهر رمضان تتقاطر وسائل الإعلام بمختلف القضايا الثقافية والسياسية، والانحرافية في السلوك،**

وغيرها من الغزو الثقافي المنحط. ألم يحن الوقت لإيجاد محطة فضائية شيعية لحل مشاكل الشيعة وقضاياهم المصيرية وغيرها وكذلك تثقيفهم بزاد ثقافي أصيل ؟

□ إيجاد المحطات الفضائية أصبحت حاجة ملحة، وما ننفقه على برامجنا وحسينياتنا في كل منطقة يكفي بعضه لتمويل هذا المشروع.

وإذا كان بناء المساجد والحسينيات مطلوبًا فإن المحطات الفضائية يمكن أن تقوم بدور لا يقل عن دور المساجد والحسينيات بل إنها قد تحمي المساجد والحسينيات وتشجع على إعمارها والالتفاف حولها.

لكن نظرة المتبرعين ومن بيدهم الأوقاف والحقوق الشرعية لا تدرك إلى الآن مستوى أهمية هذه الوسائل الحديثة.

إن كل منطقة من مناطقنا تستطيع أن تمول إنشاء محطة فضائية من خلال الأوقاف والحقوق الشرعية وتبرعات المؤمنين، لكننا بحاجة لمن يحمل راية هذا العمل ويمتلك الكفاءة لإدارته.

كما ينبغي الاستفادة من الفرص المتاحة في بعض المحطات لتنمية الوعي وتوجيه الجيل الناشئ.

تطوير المناسبات

■ كيف نطور علاقتنا بأجواء العبادة والحزن والفرح والمواقف والمناسبات التاريخية وغيرها في شهر الله؟

□ علاقتنا بالأجواء الروحية والمناسبات الدينية تتطور حينما تواكب واقعنا الحياتي، وحينما ندرك هدفها في إسعاد حياتنا وتحسين واقعنا المعاشي.

الدين ليس برنامجا لإصلاح الآخرة فقط بل هو قبل ذلك

لإصلاح الدنيا لذلك تقول الآية الكريمة: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً**﴾[١].

وفي الحديث الشريف: «من لا معاش له لا معاد له» وفي حديث آخر: «من كان في دنياه عاجزًا فهو عن آخرته أعجز».

فعلينا أن نقوي الصلة والارتباط بين البرامج الدينية والواقع الحياتي لنرى انعكاس ديننا على أمور دنيانا وقد وعدنا الله تعالى أن تكون حياتنا طيبة إن التزمنا بديننا: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾[٢].

الجولة الروحية

■ **كيف نعيش الجولة الصلاتية، الصومية، الدعائية، القرآنية في شهر الله، وكيف نصنع إنسانًا جديدًا لا عهد له بالإنسان القديم (إنسان ما قبل رمضان)؟**

□ كل تغيير في حياة الإنسان يعتمد على إرادته، وعلى اتباعه الطريق الصحيح للتغيير، وفي شهر رمضان المبارك ومن خلال أجواء الصلاة والصيام والدعاء وقراءة القرآن يجب أن نستثير في أنفسنا قوة الإرادة، وأن نحرر إرادتنا من الشهوات والأهواء وهذا هدف أساسي للصوم: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[٣].

والتقوى هي التحرر من الشهوات والأهواء، فإذا حرر الإنسان

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠١ .

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧ .

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٨٣ .

إرادته وقرر استخدامها في الاتجاه الصحيح فذلك هو طريق التغيير والتجديد في حياته ولشخصيته.

أما إذا ضعف أمام الشهوات وخضع للتقاليد والعادات واستجاب لدواعي الكسل والتراخي فإنه سوف لا يستفيد شيئًا من بركات هذا الشهر العظيم، وحتى لو صام فسينطبق عليه الحديث الشريف: «كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش».

صومان في شهر الله

■ هناك صومان في شهر رمضان:صوم فردي وهو جولة روحية فردية مع الله عز وجل، وهناك صوم جماعي على مستوى الأمة الإسلامية وهو نقلة جماعية إليه عز وجل.ترى ما هي حقيقة هذين الصومين؟

□ الجانب الجماعي في العبادات الإسلامية له أهمية كبرى حيث لم يترك الله تعالى الحرية للإنسان أن يصوم أي فترة في العام بل جعل الصيام في شهر محدد لتكون فريضة الصيام جماعية على مستوى الأمة.

وكذلك فإن الحج في أيام معلومات ليكون موسمًا للتلاقي في أجواءه على مستوى الأمة.

والصلاة وإن كانت في الأصل تؤدى إفراديًّا لكنها في يوم الجمعة والعيدين تؤدى جماعية (على تفصيل فقهي) وبشكل عام الأفضل أن تؤدى جماعة.

إن ذلك ينطلق من أن إصلاح الفرد لا يكفي ولا يحقق الغرض المطلوب من الرسالة. فالمطلوب إنشاء أمة مؤمنة تؤسس لحضارة إلهية ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**

﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[(١)]، **﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ المنْكَرِ﴾**[(٢)].

إننا حينما نعيش الصوم على مستوى الأمة فذلك يجب أن يعزز فينا روح الانتماء لهذه الأمة وأن نتحمل المسؤولية تجاهها وأن نعيش أجواء الصوم على مستواها وليس على المستوى الفردي فقط.

طغيان الجو التقليدي على المناسبات

■ **يقول البعض: إن العبادة الرمضانية تحولت في أذهان الكثير إلى أجواء روتينية رتيبة وإلى طقس ميت، لأنها تتحرك في أجواء تقليدية. فما هو تعليقكم على هذا القول والتفكير؟**

□ هذا القول صحيح إلى حد كبير، فالتعامل مع العبادات عند كثير من المسلمين يتم دون الالتفات إلى هدف العبادة ومحتواها وروحها.

أكثر المسلمين يؤدون الصلاة ولكنهم يتجاهلون هدف الصلاة **﴿إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالمنْكَرِ﴾**[(٣)].

والقرآن الكريم يتهدد بعض المصلين بالويل لأنهم يغفلون عن غاية صلاتهم **﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾**[(٤)].

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.
(٤) سورة الماعون، الآيتان: ٤، ٥.

والصوم لإيجاد التقوى في النفس ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١]، ومع أن أكثر المسلمين يصومون لكن المتقين هم الأقل، أليس كذلك ؟

والحج ورد في حديث: ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج.

إن كل ذلك بسبب الانشغال والاكتفاء بمظهر العبادة دون التطلع إلى أهدافها وغاياتها يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ألا وإن للإسلام غايات فانتهوا به إلى غاياته».

التطور في القرن الواحد والعشرين

■ هناك الكثير من المثقفين وغيرهم يتحدثون عن القرن الواحد والعشرين، وما يعده الغرب من الثورة المعلوماتية والثورة التكنولوجية وغيرها لهذا القرن، فهل أن المسلمين - على مستوى العالم - مستعدون لأن يخرجوا مستجدات على الساحة العالمية تتواكب مع العصرنة؟ أم أنهم سيبقون على واقعهم المزري من التأخر والتخلف كما يقول البعض؟

□ الأمل بالله تعالى كبير، وفي الصحوة الإسلامية المباركة، ففي الساحة الإسلامية الآن قيادات دينية واعية، وتجمعات إيمانية مخلصة، وهناك مؤشرات لنهضة إسلامية واعدة، لكنها الآن تواجه تحديات خطيرة أهمها:

تحدي اكتشاف مفاهيم الإسلام ورؤاه ومناهجه بعد أن تراكم على تراث المسلمين الكثير من شوائب التخلف ورواسب التقاليد، وضغوط العادات.

تحدي الديكتاتورية والاستبداد في الكثير من بلاد المسلمين والذي لا يسمح للمفكرين والعاملين أن يعلنوا عن أفكارهم

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١.

ويعملوا وفق اجتهاداتهم.

تحدي مواجهة العدوان والتآمر الخارجي، والذي لا يريد للأمة أن تنطلق وأن تستعيد عزتها وكرامتها. والجيل الإسلامي الواعي يخوض الآن هذه التحديات وعلى مدى كسبه وانتصاره يتحدد مستقبل الإسلام والأمة في هذا العصر، هل تواكب عصرها وتقدم للعالم نموذجها أم تبقى متأخرة متخلفة؟



[*] الحوار الرابع[1]:

حوار في الفكر الإسلامي
حضارة الإسلام لماذا تراجعت؟

---

(١) حوار أجرته الجهة المشرفة على إصدار الجزء الثاني من كتاب (مع قادة الفكر الإسلامي) بعد صدور الجزء الأول. تم الحوار في شهر ربيع الثاني ١٤٢٠هـ، دمشق.



■ سماحة الشيخ، ندرك جيدًا بأن للإسلام قدرة هائلة على قيادة البشرية نحو التقدم في مختلف المجالات، كما يظهر ذلك من خلال المحطات المضيئة في التاريخ الإسلامي، بحيث توفرت لدى المسلمين كل المقومات لقيادة إمبراطورية شاسعة من الأندلس غربًا وإلى حدود الصين شرقًا، وليس فقط قيادة دول ومناطق جغرافية صغيرة، في نظر سماحتك ما هي أسباب انحسار الإسلام اليوم وإبعاده عن مجريات الحياة الواقعية؟ وكيف نجحت بعض الحكومات العلمانية في استلام قيادة الشعوب الإسلامية؟ وأين يكمن الخلل؟

□ بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

في البداية أشكر لكم حسن ظنكم وتصميمكم على إنجاز هذا الحوار حول قضايا الأمة. سأحاول بمشيئة الله الإجابة على أسئلتكم

بمقدار معرفتي وإدراكي للقضايا التي تفضلتم بطرحها.

بالنسبة لسؤالكم الأول: في الواقع هناك عدة أسباب للانحسار الذي ذكرتم، **السبب الأول**: تاريخي ويتعلق بالانحراف السياسي المبكر الذي وقع في تاريخ هذه الأمة، حيث استطاع الوصول إلى السلطة أشخاص ليسوا في مستوى المسؤولية، وحولوا الحكم إلى منصب وراثي، يتداولونه بينهم، أو يسيطرون على الحكم بالغلبة والقوة العسكرية، والمؤامرات والدسائس التي تحاك في الظلام. هذا الانحراف السياسي الذي وقع في تاريخ الأمة، وجاء بأمثال الحكام الأمويين والعباسيين، ومن جاء بعدهم من عثمانيين وغيرهم. هذه القيادات السياسية والحكومات المنحرفة في أغلبها هي السبب الأول في انحسار الإسلام وما يعيشه المسلمون اليوم من تخلف وانحطاط.

السبب الثاني: يرتبط بغياب الفهم الصحيح للإسلام وقيمه لدى الأمة. الإسلام له رؤيته الحضارية المتميزة، له منهجه الخاص، ونظامه المتكامل الذي يشمل جميع أبعاد الفعل الإنساني، لكن هذه الرؤية الحضارية غابت لدى المسلمين في عصور التخلف والانحطاط، فتحول الإسلام إلى مجرد طقوس سطحية وتقاليد بالية، وتوارى وراء ذلك المضمون القيمي للإسلام الذي يزخر بالعمق والحياة، هذا التراجع في فهم الإسلام والتعاطي مع قيمه ومبادئه وشعائره، يعتبر من أهم الأسباب في هذا الانحسار والتراجع على المستوى الواقعي.

أما السبب الثالث: فهو نتيجة السببين المذكورين، فالركود وحالة السبات التي أصابت العقل الإسلامي، قضت على جوانب النشاط والحيوية، التي كان المسلمون يتمتعون بها في جميع المجالات. وبالتالي انتشرت مظاهر التقاعس والتواكل والانحطاط، بالإضافة إلى العوامل الخارجية، فأعداء الإسلام والحضارة الإسلامية، لم يكن

يروقهم أن يظل الإسلام في موقع القيادة والريادة، لذلك واكبت نهضتهم، عملية تخطيط دقيق وجدي لإزاحة الإسلام عن مسرح الحياة، وإبعاده عن مواقع التأثير، ليتمكنوا من السيطرة على بلدانه وتوجيه شعوبها.

هذه الأسباب مجتمعة هي التي تسببت في حالة الانحسار الذي نشهده.

الإسلام والتطور العلمي

■ **سماحة الشيخ، هل ترون أن للإسلام قدرة على مواكبة التطور العلمي، والاكتشافات الحديثة، الكثيرة والمتتالية؟**

□ ليس له قدرة على ذلك فقط، وإنما لا بد من معرفة أن الإسلام بقيمه وتشريعاته وتعاليمه يدفع باتجاه التقدم والرقي في جميع المجالات، فالإسلام يحث على استخدام العقل، والنظر في آفاق الكون، لاستثمار خيراته والاستفادة منها في تطوره وتقدمه، ليس هناك دين يؤمن بالعلم ويشجع الإنسان على سلوك طريقه، ويحارب الجهل، أكثر من الإسلام والآيات القرآنية والأحاديث النبوية وروايات أئمة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾، التي تمجد العقل وتحث الإنسان المسلم على استخدام عقله والتفكر في الكون والطبيعة كثيرة جدًا، منها قوله تعالى: **﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ﴾**[1]، وقوله تعالى: **﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا**

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.

الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ }[(١)].

وقوله تعالى: **{ وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا }**[(٢)].

وهذه الآية فيها إشارة واضحة لعدم الركون إلى مستوى معين من العلم والمعرفة، وإنما لابد من البحث المستمر، لبلوغ أرقى الدرجات والمستويات المعرفية والعلمية: فنحن دائمًا في بداية الطريق فما أوتينا من العلم إلا قليلا، وشعار المسلم يجب أن يكون دائمًا **{ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا }**[(٣)].

البشرية وأزماتها الحاضرة

■ بناء على السؤال السابق، نرى أن الفكر العلماني يتهم الإسلام بعدم قدرته على التصدي لمشاكل العالم المعاصر وإيجاد الحلول المناسبة لها، كيف يمكن الرد على هذا الادعاء والاتهام نظريًا وعمليًا؟

□ أولًا من الناحية النظرية، نحن نعتقد ونؤمن بأن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لخلقه، وبما أنه سبحانه وتعالى هو الأعلم والأعرف بما يصلح عباده وما ينفعهم، وبما أن الإسلام هو شريعة الله الأكمل، فمن الطبيعي أن تكون لهذا الشريعة ولهذا الدين القدرة على حل جميع المشاكل الإنسانية، يقول تعالى: ﴿**أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[(٤)] وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿**وَالله يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ**

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٥٨.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٣) سورة طه، الآية: ١١٤.

(٤) سورة الملك، الآية: ١٤.

المصْلِحِ﴾[1].

إذَن فما دام الإسلام دينًا وشريعةً من الله العالم بخلقه، فمما لا شك فيه أنه الأقدر على معالجة جميع مشاكل البشرية، والأقدر كذلك على فهم وإدراك عمق الأزمات التي تواجه البشرية في هذه الحياة.

هذا من جهة، من جهة أخرى ما هي المشاكل التي يطرحها العلمانيون، ويجدون الإسلام، عاجزًا عن تقديم الحلول لها؟ الأمر يتعلق باكتشاف هذه الحلول، فهي موجودة في المصادر الأساسية للإسلام، في الكتاب والسنة، ومن خلال استخدام العقل حسب المنهج الإسلامي.

فأي مشكل يواجه الإنسان أو المجتمع الإسلامي، يرجع فيه إلى هذه المصادر لاكتشاف الحل الوافي والكافي، وإذا كان هناك تقصير من المسلمين في اكتشاف هذه الحلول، فالإسلام لا يتحمل مسؤولية هذا التقصير. نحن نعتقد بأن في الإسلام كل الحلول للمشاكل الإنسانية، لكن هذه الحلول تحتاج إلى اكتشاف واستنباط.

لقد استطاع علماؤنا في الماضي والحاضر أن يستنبطوا الحلول لمختلف المشاكل.

ويجب أن نعرف بأن العلمانية تعيش الآن وفي عقر دارها أزمة خانقة في أمريكا وفي باقي الدول الغربية العلمانية، هناك أزمات عميقة كثيرة، وهذا ما اعترف به عدد من كبار القادة السياسيين وثلة من المفكرين هناك، فالحضارة المادية لم تعد قادرة على حل أو معالجة هذه الأزمات، والبشرية أصبحت في حاجة ماسة لمنهج أخلاقي وروحي، يعينها على حل مشاكلها وأزماتها المستعصية. ولم يعد خافيًا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٠.

الفشل والعجز الذي أصاب العلمانيين وتفكيرهم، والمفترض أن يكونوا الآن في موقع دفاع عن آرائهم ونظرياتهم، وليس العكس والهجوم على الإسلام واتهامه بالتقصير، ومطالبته بالحلول لأزمات هي نتائج لتطبيق نظرياتهم. نعم، الإسلام لديه الحلول وعلماؤه ومن خلال ما كتبوه، استعرضوا وجهة نظر الإسلام، وقدموا الحلول المستنبطة من مصادر الإسلام لمعالجة هذه المشاكل المعاصرة، بالرغم من المشاكل الخاصة التي تعترضهم، وقلة التجارب الإسلامية الواقعية التي تفسح للإسلام وعلمائه المجال للبحث، وإبداء الرأي والمشاركة في علاج مشاكل العصر وأزماته.

وحدة الأمة

■ **سماحة الشيخ، هل يعترف الإسلام بالحدود الجغرافية بين المسلمين؟**

□ الإسلام يريد من المسلمين أن يكونوا أمة واحدة، ويحثهم على ذلك، ولا يقبل بحالة التمزق والتشرذم والانشطار إلى كيانات متعددة ومختلفة، يقول تعالى: ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾[١].

فالآيات والأحاديث كلها تدل دلالة واضحة على وجوب تحقيق مفهوم الأمة في الواقع، وضرورة أن يعيش المسلمون ضمن كيان واحد يجمعهم، فربهم واحد، ونبيهم واحد، ومقصدهم وأهدافهم واحدة، وقبلتهم في الصلاة والعبادة واحدة كذلك، لذلك لا أهمية ولا اعتبار للحدود الجغرافية السياسية، والحدود الموجودة الآن هي

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

حالة طارئة ومخالفة للإسلام وتعاليمه، والإسلام لا يعترف بها، ويدعو لإزالتها، لتحقيق مفهوم الأمة التي يعيش في كنفها جميع المسلمين دون حواجز أو حدود جغرافية، أو غيرها من الحدود والحواجز الأخرى.

الأخوة الإسلامية

■ **ماذا تعني الأخوة الإسلامية وهل يعتبر المسلم مواطنًا في أي بلد إسلامي؟**

□ الأخوة الإسلامية تعني التفاعل العاطفي بين جميع المسلمين، كل مسلم يجب أن يتفاعل نفسيًا وعاطفيًا مع قضايا المسلمين، أفرادًا ومجتمعات. وتعني كذلك الاشتراك في الدفاع عن مصالح الأمة ومصالح أفرادها، والأخوة الإسلامية هي بشكل عام مشاركة في الآمال والآلام، والمصالح، والتناصر والدفاع عن الحقوق، فأي اعتداء يقع على أي مسلم، فمن واجب الأخوة الإسلامية أن يهب بقية المسلمين للدفاع ورفع الظلم عنه، لأن الأخوة مسؤولية كاملة تجاه جميع الإخوة في الدين والعقيدة، وهذا ما عبر عنه الحديث النبوي الشريف الذي اعتبر المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعت له بقية الأعضاء بالسهر والحمى. ولأهمية هذه الأخوة نجد الرسول ﷺ يصرح في بعض أحاديثه أن من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم. وفي حديث آخر قال ﷺ، ما آمن بي من بات شبعانًا وجاره جائع.

هذه هي الأخوة الإسلامية، التعاون والتفاعل بين المسلمين، والاشتراك في الآمال والآلام والدفاع عن المصالح المشتركة.

أما بالنسبة لاعتبار كل مسلم مواطنًا في جميع البلدان الإسلامية،

الحقيقة أن هذا هو الأصل في التشريع الإسلامي، فللمسلم جميع حقوق المواطنة الكاملة في كل بقاع الإسلام، وفي جميع البلدان الإسلامية، هذا ما تقرره الشريعة وتدعو له، أما من حيث الواقع المعاصر الذي تعيشه الأمة الإسلامية، فالأمر يختلف تمامًا لقد تجزأت الأمة إلى دول قطرية ومناطق إقليمية، ذات سيادة محدودة على جزء من جغرافية الإسلام الكبيرة، هذا الواقع المجزأ والمقسم لا ينسجم مع تعاليم الإسلام، ومفهوم الأمة الواحدة، لكنه أصبح الآن واقعًا معاشًا ومعمولًا به.

حقوق الإنسان

■ أصبح موضوع حقوق الإنسان يشغل اهتمام عدد كبير من المؤسسات والهيئات في الدول الغربية، بحيث بدأ البعض يعتبر أن الحضارة الغربية هي الرائدة في هذا الميدان، هل يمكن أن توضحوا لنا إلى أي حد اهتم الدين الإسلامي بحقوق الإنسان؟ وهل جاء اهتمامه عرضيًا أم أن الحقوق الإنسانية من الموضوعات المرسمة التي عالجتها الشريعة الإسلامية، وقدمت فيها رؤية جديدة ومتميزة؟

□ لكي ندرك مدى اهتمام الإسلام بموضوع حقوق الإنسان، يجب في البداية أن نعرف ما هو الهدف من مجيء الإسلام والرسالة المحمدية ؟ فالدين والشريعة لم تأت من أجل الله، لأن الله غني ولا يؤثر في ملكه كفر الناس ﴿ **إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ الله لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾[1]، وإنما الدين من أجل الإنسان، ومبادئ التوحيد

(١) سورة الحج، الآية: ٦٤.

والعبادة هي في أساسها وأهدافها حماية لكرامة الإنسان، هناك حقوق للهَّ وحقوق للإنسان، ومن حق الله على الإنسان أن يعبده ولا يشرك في عبادته أحدا، وهذا الخضوع لله وحده، يضمن له عدم الخضوع لغيره، أو أن يكون عبدًا للآخرين من بني جنسه، وكذلك إيمانه بالدين بقيمه وتعاليمه، يضمن له عدم الخضوع لتعاليم وقيم غير ربانية، تحط من كرامته وتنتهك حقوقه.

فالإسلام جاء من أجل الإنسان ولمصلحته، لذلك من الطبيعي أن تقوم تعاليمه على احترام حقوق الإنسان وضمانها وهناك أمر مهم جدًا، فقبل ألف وأربع مئة سنة، عندما لم تكن مصطلحات أو مفاهيم حقوق الإنسان معروفة أو متداولة، جاء الإسلام ليعلن: **{ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا }**[١].

وظهر هذا التكريم والتفضيل واضحًا في جميع تشريعاته، فليس هناك أي تشريع إلا وهو لدرء مفسدة أو لجلب مصلحة للإنسان، ولدى أي مراجعة أو بحث لا نجد أي تعارض بين مصالح الإنسان المادية والمعنوية الحقيقية، وبين ما جاء به الإسلام جملة أو تفصيلا.

إذن من خلال الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية ورسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام، وما جاء في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر، وأقوال الأئمة ورواياتهم الكثيرة، تظهر بشكل واضح ريادة الإسلام وتميزه وتقدمه في مجال حقوق الإنسان، واهتمامه بكرامته، واحترام وجوده، والدفاع عن مصالحه المادية والمعنوية.

أما ما وقع في تاريخ الإسلام من انتهاكات لحقوق الإنسان،

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

فالسبب لا يرجع لتعاليم الإسلام، وإنما بسبب إبعاد أهل البيت عن أزمّة الحكم ومنصب الخلافة، وسيطرة من هم ليسوا بأهل للحكم، لأنهم يجهلون تعاليم الإسلام وقيمه، ولا يحرصون على الالتزام بها أو تطبيقها، وكانت النتيجة أن انتشر الاستبداد والقمع، وسادت أجواء الدكتاتورية وانتهكت فيها جميع حقوق الإنسان، وهنا وقع الالتباس، فالذين ينتقدون موقف الإسلام من حقوق الإنسان، لا يميزون بين هذه الوقائع المظلمة من تاريخ المسلمين في الماضي والحاضر، وبين تعاليم الإسلام المتعالية، وحقيقة مبادئه التي تكرم الإنسان وترفع من شأنه.

طبعًا كانت هناك فترات يتم فيها احترام حقوق الإنسان المسلم، وذلك عندما كان يصل إلى الحكم رجال أكفاء، يحترمون تعاليم الإسلام، ويحرصون على تطبيقها في جميع المجالات، ومن ثم يكون هناك احترام لحقوق الإنسان.

بين النظرية والتطبيق

■ من الملاحظ أن المسلمين يكررون دائمًا القول بأن الإسلام سبق الدعوات الغربية المنادية باحترام حقوق الإنسان، وكلما ظهر ميثاق أو إعلان في الغرب يدعم هذه الحقوق، نجد المسلمين يبادرون بالقول بأن لدينا مثل هذه المبادئ بل أفضل، لكن هذه الدعوات تظل نظرية لا علاقة لها بالواقع. ما رأي سماحتكم في هذه المفارقة؟

□ هناك تطبيق واقعي لهذه المبادئ، نجده في سيرة الرسول ﷺ، وسيرة الإمام علي عليه السلام أثناء مدة خلافته، هناك نماذج رائعة للالتزام بحقوق الإنسان، انطلاقا من المبادئ الإسلامية التي أولت هذه

الحقوق أهمية كبرى، بل هناك تطبيقات لا ترقى لها التطبيقات الغربية المعاصرة. ويجب أن ندرك كذلك بأنه في الغرب لا يوجد تطبيق حقيقي وكامل لحقوق الإنسان، والتعامل الغربي مع هذه القضية مبتور ويعاني من ازدواجية، فهم يكيلون بمكيالين، فحيث توجد لديهم مصلحة سياسية أو اقتصادية، نجدهم لا يفترون عن الحديث عن حقوق الإنسان، والبكاء على الوضع المتردي لهذه الحقوق في تلك المناطق أو الدول، في نفس الوقت نجدهم يغضون الطرف عن انتهاكات وممارسات مسيئة لحقوق الإنسان تقع في أماكن ودول تسبح في فلكهم أو ترعى مصالحهم، كما هو الحال بالنسبة للكيان الإسرائيلي المغتصب، الذي ينتهك كل يوم أبسط حقوق الإنسان في فلسطين وجنوب لبنان. هناك انتهاكات واضحة داخل هذه الدول، لكن الغرب يغض طرفه، ولا يتحدث عنها في وسائل إعلامه، كما يفعل بالنسبة للبلدان الخارجة عن دائرة مصالحه السياسية والاقتصادية. وفي داخل الدول الغربية نفسها هناك الكثير من الأخطاء والنواقص والانتهاكات لحقوق الإنسان، وقد اعترف الرئيس الأمريكي بيل كلينتون أثناء زيارته للصين ولقائه طلاب جامعة بكين، بأن هناك مشاكل مستعصية يعيشها المجتمع الأمريكي مثل ظاهرة التمييز العنصري، وقد كُتب حول هذه المشاكل الكتب والدراسات الكثيرة، ووضع حقوق الإنسان هناك ليس مثاليًا، لذلك لا يحق للغربيين التبجح بوضع حقوق الإنسان عندهم، طبعًا لا يمكن مقارنة الوضع الحقوقي هناك بالوضع عندنا، فمما لا شك فيه أن وضع حقوق الإنسان هناك أفضل، ولا يمكن مقارنتها بالوضع داخل بلداننا، لكن عند المقارنة بين واقعهم وبين ما يقدمه الإسلام، يظهر الفرق والتميز والتفوق الإسلامي، فما يقدمه الإسلام للإنسان أفضل بكثير وأشمل وأعمق مما تقدمه الحضارة المادية المعاصرة.

مساحات الحرية

■ كيف ينظر الإسلام إلى مبدأ الحرية، وما هي حدود ومساحات الحرية التي يضعها الشرع الإسلامي للإنسان المسلم؟

□ الإسلام يعتبر الحرية أصلًا في الوجود الإنساني، وليس شيئًا طارئًا أو مكتسبًا، فالأصل أن يكون الإنسان حرًا، وهذا ما عبر عنه أمير المؤمنين علي عليه السلام عندما قال: «لا تكن عبد غيرك وقد خلقك الله حرًّا» والآيات القرآنية الكثيرة تدعو الإنسان للتحرر من كل عبودية لغير الله الخالق، وأن لا يتنازل عن حريته لأي كان، لأن حريته أصل وجوده، يجب أن يعيشها ويمارسها، فهي حق من حقوقه الأصلية المرتبطة بوجوده، بحيث لا يمكنه العيش إلا بممارسة هذا الحق، ولا يجوز له التنازل عنها أبدًا، وهذا ما أشارت إليه رواية عن الإمام الصادق عليه السلام تقول: «إن الله فوّض إلى المؤمن أمره كله ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلًا».

أما بالنسبة لحدود هذه الحرية، فهناك حدان، الأول الأحكام الشرعية، لأن الإنسان المسلم لا يجوز له أن يعتدي على حدود الله، أو يمارس حريته في المعصية، مع أنه من الناحية التكوينية مخيّر وليس مسيرًا وبإمكانه عمل المعصية إذا أراد، لكن من الناحية التشريعية لا يجوز له فعل ذلك والتعدي على حدود الله. قال تعالى: **{ تِلْكَ حُدُودُ الله فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }**[1].

هذا هو الحد الأول للحرية الإنسانية في الإسلام، الحد الثاني: حقوق الآخرين وحرياتهم: فانطلاقا من القاعدة الإسلامية «لا ضرر

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

ولا ضرار» يمارس الإنسان المسلم حريته لكن دون تجاوز حريات الآخرين وحقوقهم.

التعددية طريق التقدم

■ هناك اتفاق بين المهتمين بشؤون العالم الإسلامي، على أن الاستبداد السياسي يعتبر من الأسباب الرئيسة لتأخر دوله في جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، هل بإمكان التعددية الحزبية أن تشكل منطلقًا يتجاوز هذا التخلف؟ وما رأيكم في من يعترض على هذه التعددية السياسية ويتخوف منها لأنها قد تتسبب بدورها في مشكل آخر؟

□ كما أكد ذلك المختصون والعلماء، ومن خلال الواقع المعاش، نرى أن التنمية يجب أن تبدأ من الإنسان، ليس هناك تنمية حقيقية، اقتصادية أو عمرانية أو مادية بشكل عام، دون الاهتمام بتنمية الإنسان أولًا، لأن الإنسان هو محور التنمية وهدفها، وتنمية الإنسان تعني أن يتمتع بكامل حقوقه وعلى رأسها تمتعه بالحرية، هذه الحقوق هي التي تخلق لديه الدوافع لتحقيق التنمية في واقعه.

أما بالنسبة للتعددية السياسية أو ما يسمى الآن بالديمقراطية، وبغض النظر عن النقاشات حول المصطلح فتعني أن يمتلك الإنسان الحرية في إبداء رأيه في الشأن العام، ويشارك في اتخاذ القرار داخل بلده ومجتمعه، بالإضافة إلى إمكانية تداول السلطة بين القوى الاجتماعية والسياسية المتواجدة على الساحة، مما يتيح لها أن تقدم أفكارها واقتراحاتها وحلولها لمشاكل المجتمع، كما تساهم في اتخاذ القرارات، وانتقال السلطة سلميًا، بهذا المعنى تصبح التعددية هي

المخرج والصيغة الأفضل للحياة السياسية داخل المجتمع، أما ما قد يرافقها من مشاكل وأخطاء فهذه حالة طبيعية، وبالممارسة يتم تجاوز هذه الأخطاء. وما يحتج به بعض الحكام من أن شعوبنا غير مؤهلة لممارسة هذه التعددية أو الديمقراطية، فهذا الادعاء عار عن الصحة، وهو تبرير لاستمرارية الاستبداد السياسي والديكتاتورية، فالشعب لا يتهيأ أو يتأهل للديمقراطية إلا بممارستها، وعبر هذه الممارسة يتطور الوعي، وينضج الإدراك، لدى الشعب ويكتمل. ولدينا الغرب كمثال فتجربته الديمقراطية لم تنضج خلال سنة أو عقد من الزمن، بل ترجع هذه التجربة لعشرات السنين، ولم يقل أحد في الغرب أن تجربتهم قد اكتملت ووصلت إلى نهايتها المطلقة، لأن دساتيرهم وقوانينهم وأنظمتهم دائمة التغيير والتجدد والإضافات، نحو ما يرونه أحسن وأفضل لأممهم وشعوبهم.

لذلك نرى أن التعددية هي المخرج والحل المخلص من حالة الاستبداد، التي تعيشها الشعوب الإسلامية، وهي نقطة البدء لتحقيق التنمية العامة، تنمية الإنسان، وتطوره عبر التجارب، ومعالجة الأخطاء، حتى يكتسب الخبرة المطلوبة لممارسة التعددية السياسية في أحسن حالاتها. أما إيجاد التبريرات الواهية للوقوف أمام الانطلاق لخوض هذه التجربة، فإنه يعني استمرارية حالة الاستبداد السياسي وإبقائها، ومن ثم ترسيخ جذور التخلف الذي تتخبط فيه الشعوب الإسلامية.

أنموذج تاريخي

■ سماحة الشيخ، هل يمكن أن تذكروا لنا بعض النماذج التاريخية على ما قلتم، يظهر فيها موقف الإسلام من التعددية مثلًا؟

☐ أولًا من الناحية النظرية هذا واضح في تعاليم الإسلام ومبادئه، ومن خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وروايات أهل البيت، لكننا نعلم أن أزمّة الأمور السياسية لم تكن بيد الأئمة عليهم السلام حتى يتمكنوا من تطبيق هذه المبادئ على أرض الواقع، لكن لدينا بعض الأمثلة التي وقعت في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

فالإمام عليه السلام لم يمنع قيام الأحزاب المخالفة له ولتوجهاته، مع أنه كان إمامًا وخليفة شرعيًا، واجب الطاعة، لكن هذا لم يمنعه من الاعتراف بحقوق الخوارج، فقد خاطبهم عليه السلام يومًا، وأخذ عن نفسه أن لا يبدأهم بقتال، وأن لا يمنعهم حقهم في الفيء، وأن لا يمنعهم دخول المساجد والصلاة فيها، وإذا تكلموا حاججهم وإذا سكتوا تركهم، أما إذا بغوا فسيحاربهم، هذا هو موقف الإمام علي من الخوارج وقد كانوا معارضة مسلحة، إنه تجسيد للعدل الإسلامي، فالإمام لم يأمر بقمعهم أو إسكاتهم، ولم يعتبر إبداء الرأي المخالف له جريمة يعاقب عليها، بل طلب محاججتهم إذا هم تكلموا، أي إذا طرحوا آراءهم المخالفة، لابد من الرد عليهم لبيان خطئهم. وتعريفهم بالحق، ولم يطالب بمحاربتهم إلا إذا بغوا وأشاعوا الفساد في الأرض.

وهناك أمثلة أخرى تتعلق بالمسائل الدينية، ونحن نعتقد أن الإمام علي عليه السلام هو إمام معصوم ووصي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والأعلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، لذلك فما يقوله أو يحكم به هو رأي الإسلام، لكننا نجده يتعامل مع المخالفين له في هذه المسائل بنوع من التسامح، يظهر ذلك عندما دخل إلى الكوفة، ووجد الناس يصلون فيها النوافل جماعة في شهر رمضان، أو ما يسميه إخواننا أهل السنة

بالتراويح، فقد أمر ابنه الإمام الحسن بأن يطلب من الناس بأن لا يصلوا النوافل جماعة في شهر رمضان، ولما فعل الإمام الحسن ما أمره به، تصايح الناس في المسجد: «وا سنة عمراه» وفي بعض الروايات : «وا رمضاناه» فلما أخبر الإمام علي عليه السلام بما يقوله الناس، قال دعوهم وما يريدون، نحن نرى هنا أن الإمام عليه السلام يعلم أن هذه الصلاة ليست من السنة النبوية، لكنه لم يستخدم سلطته ويأمر بقمع الناس وصرفهم بالقوة عن إقامتها في المساجد. كذلك هناك واقعة التحكيم المشهورة في حرب صفين، الإمام عليه السلام لم يقبل بالتحكيم بل طالب أصحابه بالاستمرار في الحرب، وعرف أن دعوة معاوية للتحكيم، إنما هي خدعة، لكن الغالبية من أصحابه أصرّوا على قبول التحكيم وإلا انفضوا من حوله، فنزل عند رأيهم، وهذا يعتبر اعترافًا واحترامًا للرأي العام وللأمة والسماح لها بالمشاركة في اتخاذ القرارات. طبعًا كانت لهذا الحادث ملابسات ليس هنا مجال الحديث عنها، لأن هذا القبول كانت له نتائج سلبية، لكن عدم القبول كانت له أيضًا مضاعفات وآثاره خطيرة، والإمام عليه السلام كان يعلم بخطأ القبول بالتحكيم وأنه خدعة لا غير. وهناك بالطبع شواهد أخرى من سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السلام على ما ذكرناه.

لكن هناك ملاحظة فالتعددية بصيغتها الموجودة الآن لم تكن لتوجد قبل ألف وأربع مئة سنة أو ألف سنة، لأن المستوى الفكري للإنسان قد تطور، وهذا التطور له مدخلية في تطبيق الأفكار والمفاهيم، فأصل الفكرة أو مبدأ التعددية كان موجودًا، لكن التطبيق تطورت صيغه تبعًا للتطور الذي عرفه الإنسان، ولدينا مثال واضح على هذا التطور الذي طال مختلف المجالات، ففي عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كان الناس يتعلمون الدين بطريقة معينة، وفي عهد الأئمة عليهم السلام

تطورت أساليب التعليم والتعلم، والآن وقبل قرون ظهرت الحوزات العلمية، فلكل عصر أساليبه وطرقه في التعليم، لكن مبدأ التعلم والحث على طلب العلم لم يتغير.

انتشار الوعي ودور الطليعة

■ **سماحة الشيخ، كيف يتمكن العالم الإسلامي من تطبيق التعددية في الميدان السياسي والدكتاتورية تمسك بالسلطة، وتمارس العنف والقمع ضد كل من ينادي بهذه التعددية أو يشرع في ممارستها؟**

□ بالطبع إن ذلك يحتاج إلى انتشار الوعي السياسي بين المسلمين، ليعرفوا ويطلعوا على رؤية الإسلام ليس فقط في المجال السياسي، ولكن في جميع المجالات الحياتية، بالإضافة إلى الوعي العام بالظروف والواقع الاجتماعي والسياسي الذي يعيشون فيه، والاستفادة من التطور والتقدم الذي تعرفه البشرية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، ضرورة تحمل المسؤولية من طرف الطليعة الواعية، هؤلاء يتحملون مسؤولية نشر هذا الوعي، والعمل من أجل تطبيق المفاهيم والمبادئ التي تدعو إلى التعددية، ونعتقد أن المستقبل لصالح هذه المفاهيم والمبادئ، لأن مستوى الوعي لدى الناس بشكل عام قد تطور، بسبب انتشار وسائل الإعلام، وتدفق المعلومات من بقاع العالم، بحيث يتمكن الإنسان من الاطلاع على تجارب الآخرين، ومعرفة الحقائق العلمية، والاجتماعية والسياسية، وهذا يرفع من مستوى وعيه وينضج مواقفه، لذلك نحن متفائلون بالمستقبل، متفائلون بتطور نضج وعي الناس، ومن ثم تجد مبادئ التعددية طريقها نحو التطبيق والممارسة.

العنف قراءة خاطئة للدين

■ **من الظواهر والمشاكل التي تشغل الساحة الإسلامية، مشكلة ممارسة العنف والعمل المسلح الذي تقوم به بعض الجماعات الإسلامية، بغية الوصول إلى أهدافها كما تدعي، هل ترون أن استخدام العنف منهج إسلامي للوصول إلى الأهداف، أم أن هذه الممارسة من الاجتهادات الخاطئة وغير السليمة في الوقت الراهن؟**

□ في البداية لابد من معرفة الأسباب التي تدفع بعض الجهات الدينية للجوء إلى استخدام العنف، هناك حسب رأينا سببان:

السبب الأول: ويكمن في القراءة الخاطئة للدين، فبعض المتدينين يقع في الخلط، وتلتبس عليه الأوراق، فيشتبه بين تطبيق الحق وبين مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيحصل عنده تزاحم بين هذا المبدأ والمبادئ الإسلامية الأخرى، عندها لا يعرف الأولويات و الأهميات.

هناك مبادئ إسلامية أساسية مثل: لا إكراه في الدين، ومبدأ احترام حقوق الإنسان، واحترام الحريات، ومبدأ الرفق والرحمة، وغير ذلك من المبادئ، فالفهم الخاطئ والقراءة المغلوطة لهذه المبادئ ومفهوم الأولويات والمهم والأهم، ينجم عنهما ما نراه من اللجوء إلى استخدام العنف.

السبب الثاني: يمكن اعتبار هذا اللجوء إلى العنف بمثابة رد فعل تجاه واقع القمع والاستبداد، والإنسان كما نعلم عندما يحشر في زاوية ضيقة أو حرجة تهدد وجوده أو مصالحه الأساسية، لا يجد أمامه سوى الدفاع عن نفسه، وهنا قد يسيء أو يخطئ اختيار وسيلة الدفاع أو الطريقة التي يرفع بها عن نفسه الظلم والحيف.

لذلك فالأنظمة الاستبدادية والقمعية، هي المسؤولة عن لجوء الكثيرين إلى سلوك طريق العنف كرد فعل للعنف الذي يمارس ضدهم. طبعًا الإنسان المؤمن والواعي يجب أن يكون رد فعله منطقيًا ومنسجمًا مع مبادئ دينه وعقله. لكن الكثير من الناس قد يصل إلى هذا المستوى من الإدراك والفهم، للدين ولا يمتلك الرؤية السليمة والحكيمة لكيفية التعامل مع الواقع فتظهر بسبب ذلك وتنتشر ظاهرة العنف.

أحداث الجزائر

■ سماحة الشيخ، كلنا يعلم ما وقع في الجزائر وكيف أوقف العسكر التجربة الديمقراطية التي كان من المفترض أن توصل الإسلاميين إلى السلطة عن طريق الانتخابات الشعبية، لكن الجيش تدخل وألغى هذه الانتخابات ونتائجها، مما جعل الإسلاميين يرفضون هذا التدخل ويعلنون الجهاد المسلح، كيف تنظرون لهذا الاختيار كرد فعل تجاه ما وقع، خصوصًا مع ما أسفر عنه من مذابح وسفك للدماء وقتل الأبرياء؟

□ عندما ألغى الجيش نتائج الانتخابات وانقلب على العملية الانتخابية كلها، كان أمام الجزائريين طريقان، الطريق الأول هو الذي سلكته بعض الجهات الإسلامية وقد أوصل هذا الطريق إلى نتائج ومضاعفات خطيرة، منها سقوط ضحايا كثيرين من الشعب الجزائري، وتشويه سمعة الإسلام، وغيرها من المشاكل والآلام التي ترتبت عن انفجار الوضع هناك. وما زلنا نسمع كل يوم عن المذابح والمجازر التي ترتكب في حق الأبرياء وغيرهم.

الطريق الآخر الذي يفترض أن يسلكه الإسلاميون، هو الاستعانة بتحريك الشارع الجزائري، والاستفادة من الدعم الذي كانت الجماهير العريضة قد عبرت عنه عن طريق الانتخابات. لكن مع الأسف، ليست لديّ صورة مفصلة وواضحة عن مجريات الأحداث اليومية هناك، وكيف ابتعد الإسلاميون عن سلوك هذا الخيار، ربما قد يكون الشعب الجزائري نفسه في تلك اللحظة غير مهيأ لسلوك مثل هذا الطريق وهذا الخيار.

ولدينا مثال واقعي آخر على نجاح مثل هذا الخيار في منطقة أخرى، ففي أندونيسيا استطاع التحرك الجماهيري ونزول الناس للشارع أن يدفع سوهارتو إلى الاستقالة، فتغير الوضع السياسي هناك وهذا ما لم يحصل في الجزائر مع الأسف الشديد.

اللاعنف هو السبيل

■ سماحة الشيخ، يرى بعض المفكرين أن استخدام العنف يؤدي إلى تعميق الأزمات في العالم الإسلامي، بل يزيد من تشويه صورة الإسلام في الداخل والخارج، لذلك اقترح البعض سبيل اللاعنف، فهل يمكن أن يحقق اللاعنف الأهداف المرجوة التي تطمح إليها الحركة الإسلامية؟

□ في الواقع لا يمكن اعتبار اللاعنف بديلًا، لأن الأصل في الإسلام وفي منهج الأنبياء والأئمة عليهم السلام هو اللاعنف، أي الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. وفي تاريخ الأنبياء لا نجد أحدًا منهم قد أنشأ حركة أو عصابة مسلحة، من أجل تطبيق قيم الوحي ومبادئه، أو مارس العنف المسلح في سبيل ذلك، فخيار الأنبياء

ومنهجهم تمثل دائمًا بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة، ومجادلة أقوامهم بالتي هي أحسن، أي بتقديم الأدلة والبراهين لتأكيد صحة ما كانوا يدعون إليه من مبادئ وقيم. وهذا المنهج هو الذي سلكه الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، فلم نسمع أنهم عليهم السلام شاركوا في مؤامرات أو انقلابات عسكرية، من أجل تغيير أنظمة الحكم في عهد الدولتين الأموية والعباسية. والسبب هو تمسكهم بنهج الإسلام، وفي رواية عن الإمام علي عليه السلام قال: «وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عهد إليّ عهدًا فقال: يا ابن أبي طالب لك ولاء أمتي، فإن ولوك في عافية وأجمعوا عليك بالرضا فقم بأمرهم، وإن اختلفوا عليك فدعهم وما هم فيه»[(١)]، إن الأصل في منهج الإسلام هو الدعوة السلمية، وليس استخدام العنف، وعلى المستوى الواقعي فلاحظ النتائج التي أسفر عنها استخدام العنف والمشاكل الكثيرة التي شوهت صورة الإسلام في العالم. لذلك أرى أن من الواجب علينا أن نسلك طريق اللاعنف سواء تحققت أهدافنا اليوم أو غدًا، لأن مسؤوليتنا الشرعية تتحدد في سلوك الطريق الصحيح، فلا يمكن أن يطاع الله من حيث يعصى، والوسيلة أو الطريق جزء من الهدف. لذلك لا يمكن سلوك هذا الطريق حتى لو أوصلنا إلى الأهداف بسرعة، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «ما ظفر من ظفر الإثم به»[(٢)].

وقد ثبت من خلال التجارب التاريخية أن الذين وصلوا إلى

(١) النمازي: الشيخ علي، مستدرك سفينة البحار، ج١١ ص٧٨، ح ٦٤ ص١٢٤، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٨هـ.

(٢) الموسوي: الشريف الرضي، نهج البلاغة، قصار الحكم ٧٢٣، الطبعة الأولى ١٩٦٧م، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

الحكم عن طريق العنف واستعمال القوة لم يستمروا فيه. إذن اللاعنف هو الطريق، والمنهج الإسلامي المطلوب سلوكه واتباعه، أما العنف فهو وإن أوصل في بعض الأحيان إلى الأهداف، فإن ذلك الوصول سيكون عبر ركوب المعاصي وسلوك الطريق الخطأ، وليس هناك ما يضمن الاستفادة من هذه الأهداف التي تم الوصول إليها بطريق الخطأ والمعصية.

الموقف تجاه الظلم

■ **هل حدد الشرع الإسلامي طريقة التعامل مع الظالمين سواءً كانوا أفرادًا أو مجموعات أو حكومات ومؤسسات سلطوية؟**

□ ينبغي أولًا معرفة حقيقة الظلم وما يقوم به الظلمة وأن نبتعد عن الظالمين، ونقاطعهم وأن لا نركن إليهم، ثم في الأخير العمل على مقاومة الظلم بجميع أشكاله ومظاهره. وقد حدد الشرع الإسلامي هذه الأمور الثلاثة. النفور النفسي والإنكار الداخلي للظلم وأصحابه، ومقاطعة الظالمين والابتعاد عنهم وعدم الركون إليهم بحال من الأحوال، والأمر الثالث مقاومتهم والوقوف في وجه ظلمهم، لكن مع مراعاة الظروف، المعطيات الموضوعية المرتبطة بكل مورد، فالأصل في الإسلام ما ذكرناه، لكن هناك حالات كثيرة يتم التعامل فيها بمنطق مغاير، مثلًا هناك حالات وظروف تدفع الإنسان المؤمن إلى العمل بالتقية، وهنا يتعلق الأمر بالأولويات والمصالح التي تحرص عليها الشريعة، ففي بعض الحالات تكون المصلحة في الاقتراب من الظالم أو التحاور معه، من أجل تخفيف ظلمه، وتحصيل ما يمكن تحصيله من حقوق الناس. وقد حدثنا التاريخ أن الأئمة

عليهم السلام اضطروا في بعض الأحيان للتعامل مع الحكام الظالمين، لكن هذه الحالات كانت استثنائية، لأن الأصل هو مقاطعة الظالمين ومقاومة ظلمهم وهناك كما قلنا في بعض الأحيان يكون التعامل لغرض وضع حد لظلم الظالمين ولو بمقدار معين، فقد رأينا كيف شجع الإمام موسى الكاظم عليه السلام بعض أصحابه وهو علي بن يقطين للالتحاق بالبلاط العباسي، حيث استطاع أن يكون رئيسًا للوزراء في خلافة هارون الرشيد، وهذا الاقتراب من الظالم، والدخول في خدمته، كان من أجل وضع حد لبعض مظالمه، واستنقاذ ما يمكن استنقاذه من حقوق الناس، والدفاع عن مصالح المؤمنين، وهذا ما قام به علي بن يقطين. وفي (بحار الأنوار) باب كامل حول هذا الموضوع تحت عنوان (رد الظلم عن المظلومين ورفع حوائج المؤمنين إلى السلاطين) وهو الباب (٨٤) من كتاب العشرة ومما جاء فيه الحديث التالي: عن الإمام الرضا عليه السلام: «إن لله بأبواب السلاطين، من نوّر الله سبحانه وتعالى وجهه بالبرهان، ومكّن له في البلاد، ليدفع به عن أوليائه، ويصلح به أمور المسلمين، إليه يلجأ المؤمنون من الضرر» إذن في حالة الاضطرار أو في حالة وجود أولويات ومصالح عليا مهمة، يكون التقرّب في حدود معينة من الظالم، وفي غير ذلك يبقى الأصل هو النفور وعدم الركون والمقاطعة وصولًا إلى المقاومة والتصدي.

مسؤولية الحوزات العلمية

■ سماحة الشيخ، ما هي بنظركم المسؤوليات التي تقع حاليًا على عاتق الحوزات العلمية الشيعية تجاه العالم الإسلامي؟

□ **المسؤولية الأولى:** تتعلق باكتشاف المفاهيم والأفكار والأحكام الشرعية، حول القضايا المستجدة، لمعالجة المشاكل المعاصرة، التي تعيشها الأمة الإسلامية، بل والعالم ككل.

لكن الواقع أن الكثير من المواضيع والبحوث والدراسات التي يتم تداولها في الحوزات العلمية، هي مواضيع مكررة، وقد أشبعت بحثًا ونقاشًا ومعالجة، خصوصًا في مجال بحوث الخارج، حيث يبدل العلماء والفقهاء والمجتهدون جهدًا كبيرًا في مناقشة مواضيع الطهارة والصوم، وعددًا من المواضيع التي لها علاقة بالعبادات والمعاملات. ونحن لا نطالب بوقف البحث والدراسة، ومعالجة هذه الأبواب الفقهية. لكن ينبغي الالتفات والاهتمام بالأبواب الجديدة في الفقه، التي تفرضها تطور الحياة، وما ينجم عن هذا التطور من مشاكل وقضايا، تحتاج إلى حلول ومعالجات شرعية. لذلك نحن نثمن ونقدر عاليًا توجهات سماحة المرجع السيد محمد الشيرازي حفظه الله، لأنه اهتم بأبواب جديدة في الفقه الإسلامي، وبحثها وناقش مواضيعها بعلمية، بل وألف كتبا حولها مثل: (الفقه: القانون)، (الفقه: الحقوق)، (الحريات)، (الدولة الإسلامية)، بالإضافة إلى كتبه حول الاقتصاد والاجتماع والسياسة.

فالمطلوب من الحوزات العلمية أن تولي اهتمامها بالبحث، واكتشاف مفاهيم الإسلام العامة، وأحكامه بشكل شمولي، لا يقتصر على باب، أو مجموعة معينة من الأبواب الفقهية، وهذه المسؤولية تستتبع وتتطلب ضرورة إعادة جدولة البحوث الفقهية داخل الحوزة، وإعادة منهجة الدراسات العلمية، التي تحظى باهتمام الطلبة والدارسين. لماذا مثلًا لا تدرس حقوق الإنسان من الناحية الشرعية ؟ طبعًا ليس لدينا منهج لتدريس هذه المادة لأن البحوث

حولها غير متبلورة بشكل مفصل، بسبب الإهمال التاريخي.

وهكذا الأمر بالنسبة للجانب الاقتصادي، وكل ما يتعلق بشؤون المجتمع، وإدارة الدولة الحديثة.

المسؤولية الثانية التي تقع على عاتق الحوزات العلمية، تتعلق بإعداد القادة وبناء الكوادر الإسلامية، المؤهلة لقيادة الشعوب والمجتمعات المسلمة. ولا شك أن الحوزة مطالبة كذلك بتخريج العلماء الذين يقومون بهداية الناس، وإرشادهم وتوجيههم، للالتزام بقيم الإسلام ومبادئه، وهذه حاجة ملحة الآن، بسبب ظروف التخلف والغزو الثقافي الغربي، والضياع والخواء الروحي، الذي تعيشه شريحة واسعة من الناس.

ولابد من الإشارة هنا إلى المؤهلات التي ينبغي أن تتوفر في هؤلاء العلماء، فليست العبرة في امتلاك قدر كبير من المعلومات فقط، وإنما لابد من الالتزام بالإسلام شكلًا ومضمونًا، ومراعاة الجوانب الأخلاقية والاجتماعية.

المسؤولية الثالثة تتعلق بتحمل دور الريادة والقيادة في دعوة الأمة، وتوجيهها نحو طريق الخلاص والدفع بها باتجاه التقدم والتطور، ولا شك أن المسؤولية تقع هنا بشكل كبير على المراجع وعلماء الدين، وأهمية تفعيل دورهم ونشاطهم العلمي والاجتماعي داخل الأمة.

ولاية الفقيه

■ سماحة الشيخ، بالنسبة لطبيعة النظام السياسي في زمن الغيبة ما رأيكم في مبدأ ولاية الفقيه العامة والنظرية الأخرى، المقترحة، والتي تفضل ولاية عدد من الفقهاء ممن تتوفر فيهم الشروط المعتبرة، بدل فقيه واحد؟

□ تُعرف أحكام الإسلام من خلال الاستنباط والاجتهاد، فالعلماء والمجتهدون الذين يستنبطون أحكام الإسلام ومبادئه، لهم آراء مختلفة حول نظرية ولاية الفقيه العامة، أي قيادة المجتمع سياسيًا، والإشراف على جميع مناحي الحياة الاجتماعية والدينية، فالأكثرية من الفقهاء لا يرون الولاية المطلقة للفقيه، وإنما ولاية محددة في الأمور الحسبية وبعض الموارد، أما إدارة شؤون الأمة بشكل عام فهم يختلفون حولها. وبالإضافة إلى من يرى الولاية المطلقة للفقيه، هناك رأي أو نظرية أخرى، لعلها تتناسب أكثر مع تطور العصر، وأوضاع المسلمين في كل مكان، وقد تكون أقرب إلى تحقيق مبدأ الشورى الإسلامي، ونقصد بها ولاية مجموعة من الفقهاء بدل الفقيه الواحد.

ثغرات التطبيق

■ يرى بعض العلماء والمختصين بأن نظرية ولاية الفقيه العامة قد فشلت على المستوى الواقعي، وقد انعكس هذا الفشل على بنائها النظري .. كيف تقيمون وجهة النظر هذه؟

□ في البداية ينبغي معرفة أن الظروف والعوامل الواقعية المختلفة، لها تأثير على مدى سلامة تطبيق أي نظرية، وتساهم إما في نجاحها على أرض الواقع، أو تؤثر عليها سلبًا، وتؤدي إلى فشلها. ثانيًا حصول الأخطاء أو وجود الثغرات أثناء الممارسة والتطبيق لا يعني فشل النظرية وانهزامها النهائي. لأن العوائق الخارجية والمشاكل الداخلية المستعصية التي تعيشها الأمة، يمكنها أن تعيق وتساهم في تعثر أي نظرية ومنها نظرية ولاية الفقيه.

لذلك فنجاح أي نظرية مرتبط بتصحيح الخطأ، ومعالجة الثغرات والنواقص، وتجاوز حالات الفشل المؤقت، والعمل على تغيير الأساليب عند التطبيق.

إذن لا يمكن الاستدلال على فشل النظرية ببعض مظاهر الفشل، في جانب من الجوانب، وإنما ينبغي معالجة العوامل التي ساهمت في الفشل أو القصور، والكشف عن الظروف الموضوعية، للوصول إلى تقويم حقيقي نستطيع من خلاله أن نحدد نقاط القوة والضعف في أية نظرية عند التطبيق.

ولاية الفقيه والاستبداد

■ يرى البعض بأن ولاية الفقيه المطلقة تؤدي إلى الاستبداد السياسي .. إلى أي حد يمكن اعتبار ذلك صحيحًا؟

□ إذا طبقت ولاية الفقيه العامة مع مراعاة الضوابط والحدود الشرعية، ولم تتجاوز أي مفهوم من المفاهيم الإسلامية، فإنها ستكون حينئذ بعيدة عن الاستبداد.

وإذا مورست في إطار الشورى والحفاظ على الحريات العامة، واهتمت بالحقوق الشرعية للناس، ومنها حقهم في انتخاب من يتولى إدارة شؤونهم، فلن يكون هناك أي مظهر من مظاهر الاستبداد. لذلك فالتطبيق السيئ، والممارسات التي تتعارض مع مفاهيم الإسلام وقيمه، هي التي تؤدي إلى السقوط في الاستبداد.

شورى الفقهاء

■ يرى البعض بأن الاستبداد يأتي نتيجة التطبيق والتفرد في اتخاذ القرارات، لذلك يطرح بديلًا مغايرًا يتمثل

في شورى الفقهاء المراجع، باعتبارهم سيكونون الأقدر على التصدي جماعيًا لمشاكل الأمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، بنظركم ما هي إيجابيات هذا الطرح وآثاره الواقعية على المستوى السياسي؟

□ مما لا شك فيه أننا إذا خيّرنا بين ولاية فقيه واحد أو أن يكون التصدي العام شورى بين مجموعة من الفقهاء المراجع، فإن النظرية الثانية أكثر تماشيًا مع معطيات التطور المعاصر. لكن ينبغي مراعاة المعطيات الموضوعية التي تساعد على تقبل هذا النهج والأسلوب الشوروي، فما نعرفه عن الوضع الحوزوي والمحيط الذي يعيش فيه المراجع، وعقليات الحواشي المحيطة بهم، كل ذلك يجعل عملية تنفيذ نظرية شورى المراجع صعبة جدًا، فالعمل ينبغي أن يوجه لتغيير هذه الأجواء والظروف، لكي يصبح الوضع أكثر ملاءمة وتحسنًا، بحيث يمكنه أن يتقبل حالة التشاور وتبادل الرأي بين الفقهاء، ومن ثم يمكننا الحديث مستقبلًا عن شورى المراجع والفقهاء، الذين سيتصدون في إطار مجلس لإدارة شؤون الأمة. ومع الأسف الشديد نحن نلاحظ أن عددًا من المراجع المقيمين في الحوزات العلمية ليس بينهم أي تشاور وتبادل للرأي، ولا وجود لأي حوار بينهم، إلا فيما ندر. بل حتى مع الظروف الصعبة التي يعيش فيها عدد منهم في النجف الأشرف بالعراق، لم نجد أي مبادرات للتلاقي والحوار، أو التعاون فيما بينهم لمواجهة هذه الظروف. وهذا الوضع لا يختص بالمراجع فقط بل يمتد ليشمل عددًا كبيرًا من الشخصيات العلمية البارزة، فلا وجود لحالة التلاقي والتشاور إلا نادرًا جدًا.

إذن فالوضع لم ينضج بعد، وغير مستعد لتقبل حالة التشاور القيادي، كما تقترحه نظرية شورى المراجع. ويخشى من النتائج

السلبية إن تم فرض هذا التلاقي أو الحوار على هؤلاء المراجع والعلماء وهم بعد غير مستعدين نفسيًا وفكريًا لتحقيق هذا التلاقي والحوار المطلوب.

القيادة الجماعية

■ **في الفترة الأخيرة وبسبب بعض المظاهر والممارسات السلبية عند التطبيق، ظهرت دعوات تؤكد على ضرورة تقييد سلطة الولي الفقيه .. ما رأيكم في ذلك؟**

□ هذه القضية متفرعة ولها تداعيات كثيرة، أولًا لأن الفقهاء قد يختلفون في استنباط الأحكام من الشريعة، وهذا هو الواقع كما نعلم ونشاهد، ثانيًا لابد من وجود اختلاف في الرأي والتفكير والتحليل أثناء معالجة القضايا السياسية والاجتماعية، لذلك تبقى القيادة الجماعية واجتماع العقول للتداول والحوار ومعالجة قضايا المسلمين، أفضل بكثير من أن يتحملها فقيه واحد بمفرده.

الرأي الآخر

■ **هل يعني فتح باب الاجتهاد إمكانية أن يفتي الفقيه المجتهد بما توصل إليه وإن كان مخالفًا لفتوى أو حكم الحاكم الإسلامي (الولي الفقيه). وبمعنى آخر هل يحق للفقهاء الإفتاء بما يخالف رأي الفقيه المتصدي للحكم؟**

□ بالطبع إذا وجد فقيه حاكم تجتمع فيه الشرائط المعتبرة، في المرجعية والقيادة، وهو متصد وحاكم للأمة، رأيه في هذه الحالة يكون نافذًا. لكن ذلك لا يعني أنه لا يحق لأي مجتهد أن يكون له رأي مخالف أو مغاير، إن مبدأ الاختلاف العلمي وارد في الإسلام،

كما هو الواقع لدى اختلاف المجتهدين عبر الأزمنة، لذلك لا يمكن مصادرة هذا الحق الشرعي. حتى مع وجود الفقيه الحاكم الجامع للشرائط، ينبغي أن تتاح الفرصة لسائر الفقهاء والمجتهدين لإبداء آرائهم العلمية، في جميع المجالات الفقهية والسياسية، بل لا يمكن مصادرة أو منع عامة الناس من حقهم في إبداء آرائهم، في جميع ما يتعلق بإدارة شؤونهم العامة. لكن المسألة تتعلق حينئذ أن تؤخذ بعين الاعتبار المصلحة العامة عند إبداء أي رأي مخالف. ومراعاة الظروف والمعطيات الواقعية، بحيث لا يخدم هذا الرأي حالة سلبية أو يتسبب في انفجار فتنة تضر بالمصالح الأساسية للدولة الإسلامية. أما البحث العلمي وإبداء الرأي في ظروف موضوعية ملائمة، فإنه يعتبر حالة إيجابية يفترض أن يشجع عليها لأنها لن تتعارض مع مصالح الأمة.

إيجابيات التشاور

■ ما هي الإيجابيات التي يمكن أن تظهر في حالة تطبيق نظرية شورى الفقهاء؟

□ أهم الإيجابيات الاستفادة من الآراء المختلفة والمتنوعة التي تنجم عن حالة التشاور وتبادل الآراء بين الفقهاء والمراجع. وقد جاء في الحديث: «ما اجتمعت العقول على شيء إلا أدركته».

فحالة التشاور بين الفقهاء تتيح لنا الفرصة للوصول إلى الرأي الأصوب، بالإضافة إلى الاستفادة من مختلف الطاقات الفكرية والاجتهادية الموجودة في الأمة.

هناك جانب آخر لا يقل أهمية وهو جمع شمل الأمة، لأن لكل فقيه أو مرجع أتباعًا ومقلدين، وله حضور في الساحة، ويتحكم في توجيه شريحة من الناس، وكثيرًا ما تسود القطيعة، وبعض

المشاحنات بين الاتباع المقلدين، بسبب بعض الاختلافات المنقولة والمزعومة بين المراجع، إذن وجود مجلس يجمع هؤلاء الفقهاء، وتتم فيه مناقشة القضايا التي تهم الساحة الإسلامية، يحقق أولا الانسجام داخل الساحة الشعبية الإسلامية وهذه فائدة سياسية، ويقضي على بعض الظواهر السلبية كما قلنا، ويحقق كذلك فوائد علمية مهمة عندما يتم تداول الرأي للوصول إلى الرأي أو الحكم الأقرب إلى الصواب والواقع.

بين الشورى والاستبداد

■ ما هو الحد الفاصل بين الشورى والاستبداد في الإسلام؟

□ الاستبداد إلغاء لرأي الأمة، واستهانة باختياراتها، وانتهاك لكرامة الناس والمواطنين، فما يراه ويفعله المستبد هو الحق، هو المعمول به، أما مشاركة الأمة فلا تتجاوز حدود الطاعة والخضوع لأهواء المستبد ورغباته، التي تصبح تشريعًا وقانونًا يتحكم في مصائر الناس، ويوجهها لخدمة أهدافه الشخصية، وأهوائه وأحلامه في الملك والتسلط. أما الشورى فأبسط تعريف لها، أنها الأخذ بعين الاعتبار آراء الناس في اتخاذ القرارات، التي تتعلق بإدارة شؤونهم السياسية والعامة، والحكم برضاهم.

الشورى والديمقراطية

■ هل الشورى هي الديمقراطية، أم أن هناك فوارق واختلافات بين المصطلحين والمفهومين؟

□ **أولًا:** ليس هناك تعريف موحد للديمقراطية، ففي العالم

هناك صيغ متعددة ومختلفة للديمقراطية، لكن قد يكون بين هذه الصيغ عناصر مشتركة، مثل إعطاء الحق للناس أو النواب المنتخبين، لممارسة التشريع وإصدار القوانين المتعددة وتنفيذها، وهنا يكمن الاختلاف بين الشورى الإسلامية والديمقراطية الغربية، فحق التشريع في الإسلام ليس للناس أو من ينتخبونهم، وإنما التشريع حق إلهي فهو سبحانه وتعالى المشرع وواضع القوانين، ولا يمكن للناس أن يشرعوا أحكامًا مخالفة لما أنزل الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ والشورى هنا تتعلق بالتشاور وتبادل الرأي في أساليب تطبيق الشريعة، وتشخيص الواقع واستنباط الأحكام من مصادرها المعتبرة وإنزالها على الوقائع المشخصة بدقة.

هذا هو الفرق الأساس، فالتشريع ووضع القوانين في الإسلام مقيد ومحدد، لأنه ينطلق من قاعدة الإيمان، والالتزام بالوحي، ولا يتجاوز ذلك إلاّ في إطار حددته الشريعة وهو الاجتهاد الشرعي لاستنباط الأحكام لمعالجة مناطق الفراغ التشريعي.

الشورى في جميع المجالات

■ هل ترون أن الشورى ضرورية لإدارة المؤسسات والهيئات داخل الدولة الإسلامية؟

□ بطبيعة الحال، لأن ممارسة الشورى في إجراء جميع الشؤون العامة والخاصة أمر له فوائد كثيرة، كما أن الشورى لا تعني أبدًا فتح الباب أمام الفوضى والتسيب. لابد من وجود أنظمة وقوانين تسير عليها هذه المؤسسات والإدارات، وممارسة الشورى هنا تمّكن من الاستفادة من أكبر عدد من الآراء والأفكار، وتفسح المجال أمام الطاقات المبدعة للمشاركة بحرية وفاعلية. فالشورى لا يمكن أن

تتعارض مع النظم والقوانين المنظمة لعمل هذه الإدارات والمؤسسات.

المرجع والأمة

■ **كيف ترون وضع العلاقة بين المرجعية الدينية والمجتمع، وما هي المسؤوليات المتبادلة بين المراجع والناس؟**

□ بالنسبة لمسؤولية المراجع تجاه الناس، فتتحدد أولًا في إيضاح معالم الدين والشرائع والإجابة على تساؤلات الناس الشرعية، بالإضافة إلى الدفاع عن الفكر الديني، ورد شبهات الخصوم ومغالطاتهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، الاهتمام بمشاكل الناس والقضايا التي تعرض لهم، لأن المرجع لا ينبغي أن يعيش بعيدًا عن الناس منزويًا في برج عاجي، بل لابد من تواجده المستمر في الساحة ومعالجة مشاكل الناس. أضف إلى ذلك الأخذ بيد الناس ودفعهم باتجاه التقدم والتطور للخروج من حالة التخلف الحضاري الذي تتخبط فيه الأمة. أما بالنسبة لمسؤولية الناس تجاه المراجع، فالتفاعل مع برامج المراجع، والاستجابة والانخراط في مشاريعهم الاجتماعية والتربوية وفي غيرهما من المجالات، والعمل على إنجاحها والاستفادة منها، بالإضافة إلى إبداء النصيحة لهم، وإطلاعهم على حقيقة الأوضاع التي يعيشها المسلمون خصوصًا في المناطق النائية والبعيدة عن الأضواء. حتى يتمكن المراجع من معرفة أحوال المسلمين في جميع المناطق والأماكن، والمساهمة في إيجاد الحلول لمشاكلهم. وبشكل عام ينبغي على الناس أن ينفتحوا على المرجعية وأن يلتفوا حولها ويتفاعلوا مع برامجها.

الحركات الإسلامية والمرجعية

■ سماحة الشيخ، كيف ينبغي أن تكون العلاقة بين الحركات الإسلامية وبين مراجع التقليد؟

□ مبدئيًا يفترض أن تعمل الحركات الإسلامية في ظل المرجعية، لاحتياج هذه الحركات للأحكام الشرعية التي تؤخذ من الفقهاء المراجع، لذلك لابد من التزام الحركات الإسلامية وقيادييها بجهة مرجعية، يرجعون إليها في احتياجاتهم الشرعية. من جهة أخرى ينبغي أن يكون هناك ترابط وتنسيق بين هذه الحركات والمرجعية، فالمرجعية تمتلك الشرعية والنفوذ داخل الساحة الاجتماعية، والحركات لديها الفاعلية، والقدرة على التحرك والعمل بنشاط داخل هذه الساحة كذلك. وبإمكانها أن تكون الذراع والعضد للمرجعية، والمرجعية بدورها تستطيع أن تكون غطاء لنشاطات هذه الحركات. لذلك ينبغي أن تتفهم المرجعية دور الحركات وما يمكن أن تقوم به داخل الساحة من نشاط فعال لكن بعض المراجع الذين يفكرون بطريقة تقليدية غير منفتحة على تطورات الواقع، لا يدركون أهمية وجود تنظيمات وحركات إسلامية اليوم. لذلك يضعف التنسيق بين الحركات والتنظيمات الإسلامية وهؤلاء المراجع. لكن هذا الواقع لا يمنع من زيادة انفتاح هذه الحركات على المرجعية وضرورة التعاطي والتنسيق معها، للوصول إلى تعاون حقيقي وفاعل بين الطرفين، وهذا ستكون له إيجابيات كثيرة على المستوى الواقعي والاجتماعي.

أما عندما ينعدم التنسيق بين الجانبين فهذا ينعكس سلبا على الحالة الدينية بشكل عام، لأن الحركات الإسلامية تعتبر من مراكز القوة داخل المجتمع، والتعاون والتنسيق معهًا يمكّن المرجعية من أساليب جديدة للعمل وتوجيه الجماهير.

نحو مبادرات عملية

■ **كيف نصل إلى حكومة شورى المراجع، وهل الاجتهادات المختلفة للمراجع من شأنها أن تجعل قرارات الحكومة الإسلامية تستفيد من خبرة المراجع وتنوع اجتهاداتهم؟**

□ الوصول إلى حالة التشاور والتحاور والتلاقي بين الفقهاء والقيادات الدينية، يحتاج إلى أمرين، **الأول**: وعي الساحة والأمة بأهمية هذا التشاور واللقاء، وهذا الأمر لا يتحقق بين عشية وضحاها، بل يحتاج إلى جهود مكثفة، من خطابات وندوات وكتابات ونقاشات طويلة، حتى تسود القناعة بأهمية ذلك داخل الأوساط العامة، وبين النخب وقيادات الأمة.

الأمر الثاني: نحن في حاجة إلى مبادرات عملية تتكرر على المستوى الواقعي، وتصبح حالة مألوفة ومتعارفة، لذلك ينبغي على العلماء أن يضعوا إطارًا للتعاون والتشاور فيما بينهم، وهناك مناسبات وأماكن كثيرة يمكن أن يتم فيها اللقاء مثل إداراة الحوزات والحسينيات أثناء مواسم الاحتفالات الدينية وغيرها من مناسبات الوعظ والإرشاد، لماذا لا يجتمع العلماء والخطباء ويتشاورون حول المواضيع التي تشغل الساحة الإسلامية؟ ويتبادلون الرأي حول الأولويات، وينسقون سبل التعاون بينهم؟ الحالة السائدة هي الاعتزار بالرأي الشخصي، وإهمال الرأي الآخر، وعدم الالتفات إليه أو اعتباره. نحن إذن بحاجة إلى سعي عملي ميداني على أرض الواقع، لنجعل الوسط الديني يدرك أهمية التشاور والحوار، ولن تفيدنا الشعارات والدعوات للعمل الجمعي دون القيام بمبادرات عملية، هذه هي المقدمات الضرورية للحديث عن نجاح مشروع شورى

الفقهاء المراجع.

التعددية والاستقرار السياسي

■ ما رأيكم في التعددية الحزبية، وهل يمكن اعتبارها وسيلة فضلى لإدارة الحكومة؟

□ التعددية هي الحالة الطبيعية، وبدونها سيكون البديل هو القمع والكبت، في كل مجتمع هناك فئات قد تتبنى أو تؤمن بأفكار ونظريات، هذه الفئات إذا لم يتح المجتمع لها الفرصة للتعبير عن قناعاتها واختياراتها السياسية والفكرية بشكل علني، ستتجه إلى التعبير عن ذلك بطرق سرية، إذا لم تكن الفرصة متاحة إلا لقوة واحدة مهيمنة أو جهة معينة، فإن باقي القوى لن تتنازل عن اختياراتها بل ستلجأ إلى العمل السري، وستنشط خلف الكواليس، وتعمل على معارضة القوى المهيمنة بكل الأساليب.أما عندما تكون التعددية مباحة ومشرع لها كما نجده لدى الدول التي تعمل بالتعددية الحزبية، فإن جميع القوى تعمل في وضح النهار، وتكشف عن اختياراتها وآرائها بوضوح، دون خوف أو ارتياب، وبالتالي فلا خوف على القوة الحاكمة من أي عمل تخريبي أو معارض ينمو في الخفاء، وقد أثبتت التجارب التاريخية أن الحكومات مهما امتلكت من أسباب القوة، لا يمكنها أن تجبر الناس على اعتناق آراء وأفكار لا يرغبون في اعتناقها أو الإيمان بها. وعندما توجد فئة تعمل في الخفاء وتحت الأرض، فلا يمكن الحديث عن الاستقرار السياسي والاجتماعي، لأن هذا الاستقرار قابل للانفجار في أية لحظة.

اختيار القيادة

■ ما هو موقف الإسلام من الانتخابات، وهل يؤيد

انتخاب القيادة؟ علمًا بأن الإمامة معينة بالنص ولا دخل للاجتهاد أو الانتخاب فيها. وما هو الموقف من ولاية الفقيه؟

□ بالنسبة للنبوة والإمامة هناك تعيين إلهي واضح وصريح ولا دخل للانتخاب فيه، والتكليف الشرعي هو الخضوع والامتثال، وبعد عصر الأئمة ودخولنا في زمن الغيبة وعدم وجود نص على شخص معين لتولي منصب القيادة، فالمسألة ترجع إلى انتخاب الناس واختيارهم، حتى بالنسبة للفقهاء الذين تحققت فيهم الشروط المعتبرة، وطالب الشرع بتقليدهم وطاعتهم، خصوصًا عندما تتعدد المصاديق ويكون هناك أكثر من فقيه تحققت فيه المواصفات والشروط الشرعية، فإن وصول واحد منهم إلى سدة الحكم والرئاسة، سيكون عن طريق الانتخاب والاختيار، ولن يكون له حق الأمر والنهي ويتمتع بشرعية القيادة إلا إذا اختارته الأمة وانتخبته.

الأعلمية

■ **سماحة الشيخ، هل تعتبر الأعلمية شرطًا في هذا الانتخاب؟**

□ الفقهاء مختلفون في هذه القضية، لذلك فاشتراطها يرجع إلى رأي الفقيه المجتهد، والمستنبط للأحكام الشرعية، هناك من الفقهاء من يشترطون الأعلمية في مرجع التقليد، وفي المتصدي للحكم، وهناك من لا يشترطها، وإنما يكفي الاجتهاد وتوفر بقية الشرائط الأخرى المعتبرة في منصب القيادة مثل الكفاءة والعدالة، فالمسألة إذن خاضعة للرأي الفقهي الذي يختاره الفقيه ويكون لديه قويًا ومعتبرًا.

غياب المؤتمرات واللقاءات

■ **ما هو السر في غياب ظاهرة المؤتمرات واللقاءات التي تجمع بين العلماء والمفكرين والمختصين، في عالمنا الإسلامي؟**

□ السر هو التخلف في المجال الفكري والثقافي، وفي مجال العلاقات، التخلف في أي أمة يكمن في هذين البعدين، في ثقافتها وأفكارها وفي شبكة العلاقات بين مراكز القوة فيها. ونحن نعاني من أزمات خانقة في هذين البعدين. في مجال العلاقات بيننا، نجد أن الواحد منا يعتبر الآخر نقيضًا ومناهضًا له، خصوصًا داخل الوسط الديني، ومن أوجهها السلبية اعتبار بعض الجهات أن الأنشطة التي تقوم بها جهة أخرى إنما هي على حسابها، وعلى حساب نموها ومصالحها، وبالتالي يبدأ التفكير في إيجاد الطرق والوسائل لمنعها عن ممارسة أنشطتها، بل إلغائها وإخراجها من الساحة. وهذا قصور في النظر لأن الساحة تستوعب الكل، وبمقدار العمل والنشاط تأخذ أية جهة مكانتها في الساحة.

هذه الأسباب والمظاهر المتخلفة هي التي تجعلنا لا نهتم بالوسائل والسبل التي تجمعنا من أجل التحاور وتلاقح الأفكار والآراء والاستفادة من تجارب بعضنا البعض.

البحث عن أراء الآخرين

■ **سماحة الشيخ، هل هناك ضرورة لإقامة المؤتمرات؟ وكيف يمكن جمع أكبر عدد من الأساتذة من الجامعات والحوزات العلمية ورؤساء الأحزاب الإسلامية، وعدد من كبار التجار، للتباحث حول أوضاع المسلمين ومعالجة مشاكلهم؟**

□ لا بد من وجود قناعة ذاتية لدى كل واحد منا، بأن الوصول إلى الرأي الصائب لن يكون عن طريق الانعزال في الصوامع الخاصة، وإنما ينبغي البحث عن آراء الآخرين ومحاورتهم ومناقشتهم. لتكوين صورة متكاملة عن أي موضوع.

والمؤتمرات يمكنها أن تكون وسيلة وإطارًا مناسبًا لتحقيق هذا الغرض، أي الوصول إلى الآراء والأفكار الناضجة حول أي موضوع، بالإضافة إلى إمكانية صنع علاقات سليمة بين جميع القوى المختلفة. وتنقية أجواء العلاقات بينها، وعرض الأسس التي يقوم عليها تفكير أي جهة ومبرراتها ومستنداتها، وهذا من شأنه أن يخفف من حدة التشنجات التي تعرفها الساحة الإسلامية بين عدد من القوى والتيارات والأشخاص.

لكن مع الأسف الشديد هناك عائق كبير يقف في وجه عقد وتنظيم هذه المؤتمرات حتى لو وجدت الإرادة لعقدها لدى جميع الفرقاء، ونقصد به العائق السياسي وغياب الحريات، بل الخوف من هذه الحريات على أمن الأنظمة السياسية واستقرارها؟

المؤتمرات نهج حضاري

■ **سماحة الشيخ، هل يعتبر تنظيم المؤتمرات اتجاهًا موضوعيًا مفيدًا، أم مجرد أنشطة وفعاليات غير واقعية، لا تقدم في نهاية المطاف ما يرجى منها؟**

□ بالنسبة لإقامة المؤتمرات أو تنظيمها، تعتبر الآن من الأنشطة المعمول بها في كل التجمعات الإنسانية، فأغلب بلدان العالم تقيم مؤتمرات متنوعة، بحيث لا يكاد يمر يوم، إلا ونسمع عن تنظيم مؤتمرات في مختلف المجالات والتخصصات. هناك مؤتمرات

اقتصادية وعلمية وسياسية، ورياضية وكذلك هناك مؤتمرات ينظمها الهواة في مختلف التوجهات وحتى ذوو الأنشطة المنحرفة والشاذة لديهم ملتقياتهم ومؤتمراتهم، لقد قرأتُ قبل فترة عن انعقاد مؤتمر للسحرة في البيرو، ناقشوا فيه بعض القضايا والمسائل التي تهم مجال نشاطهم.

بل لقد نظم مؤخرًا مؤتمر للدفاع عن حقوق المدخنين، وقال القائمون عليه: إن سبب تنظيمهم للمؤتمر هو الرد على الحملة العالمية ضد التدخين، لأن المدخنين يمارسون حريتهم الشخصية أثناء التدخين، ونشرت أخبار هذا المؤتمر في الصحف والإذاعات.

الآن في العالم يعتبر أسلوب إقامة المؤتمرات هو الأسلوب المتبع في جميع الاختصاصات والمجالات، لكن للأسف، الوسط الديني لا يستفيد ـ كما هو مفترض ـ من هذا الأسلوب والنشاط الفعال. في كل بلد نجد غرفة للتجارة والصناعة، يجتمع فيها التجار ورجال الأعمال، ومن خلال هذه الغرفة تقام ملتقيات ومؤتمرات لمعالجة جميع القضايا التي لها علاقة بهذا القطاع وشؤون أصحابه والعاملين فيه. كذلك هناك نقابة للأطباء والمهندسين، وهذه النقابات تسهر على إقامة اللقاءات والمؤتمرات التي تجمع بين هؤلاء المختصين في مجالاتهم المختلفة.

ويبقى الوسط الديني لم يستفد ـ إلى الآن ـ من هذه الأنشطة والإمكانيات التي تتيحها المؤتمرات، لذلك أكرر أسفي لتخلف الوسط الديني عن هذا الركب، وعن هذه المسيرة، وعدم انتهاجه هذا الأسلوب العملي الناجع في علاج عدد من القضايا والمسائل، والانفتاح على بعضنا البعض مع أننا في أمس الحاجة لمثل هذه الأنشطة من مؤتمرات ولقاءات.

الوعي والفاعلية

■ **كيف يمكن إنقاذ المسلمين من واقعهم المأساوي؟**

□ هذا ليس بالأمر الهين أو المتيسر بسهولة، لأن الواقع الإسلامي يعاني من تراكم المشاكل الكثيرة، لابد من تهيئة المقدمات الضرورية للنهوض، ونعتقد أن أهم هذه المقدمات، انتشار الوعي الحقيقي بالواقع وبمشاكله، ومن ثم اقتراح العلاجات والحلول لهذه المشاكل، كل ذلك في إطار من الفاعلية العملية الواضحة والجادة، ليتم تحويل هذا الوعي إلى عامل يؤثر في عملية التغيير، وبالتالي الإنقاذ والخروج من وحل التخلف الذي تتخبط فيه الأمة الإسلامية.

سيرة النبي وسيرة علي

■ **ما هي خصائص حكومة الرسول الأعظم ﷺ، وحكومة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟ وهل لحكومتيهما مميزات ونقاط خاصة تميزها عن باقي الحكومات الديمقراطية في العالم المعاصر الآن؟**

□ التمييز الكبير والأساس، كونهما حكومتين إلهيتين، غرضهما الأول والأخير الدعوة إلى الله والخضوع لشريعته وأوامره، هذا من جهة ومن جهة أخرى، قامت حكومة الرسول ﷺ والإمام علي عليه السلام من بعده على الإيمان بكرامة الإنسان، واحترام حقوقه المادية والمعنوية، أما بالنسبة لحقوق الإنسان التي تروج لها الحكومات في الغرب، فلابد من الإشارة إلى الجانب الشعاراتي في هذه الدعوات المنادية بحقوق الإنسان، والاستغلال السياسي لهذا الموضوع من جانب بعض الأحزاب الغربية، والوسائل الإعلامية الخاضعة لها،

بالإضافة إلى استخدامها كورقة ضغط على بعض الحكومات في العالم الثالث التي لا تنتهج الأيديولوجية الغربية في مجالات الاقتصاد والثقافة والسياسة، بحجة أنها تنتهك بذلك حقوق الإنسان.

وقد تابعنا عبر وسائل الإعلام العالمية والمحلية قضية التحرش الجنسي من طرف رئيس أكبر الديمقراطيات الغربية في العالم. مع أن التحرش له علاقة ومساس مباشر بالكرامة الإنسانية، ويعتبر انتهاكًا لحق من حقوق المرأة العاملة، وضرورة احترامها أثناء تأديتها لنشاطها العملي داخل الإدارات وخارجها. أما في حكومة النبي ﷺ وحكومة وصيه الإمام علي عليه السلام، فهناك التزام حقيقي وصادق بكرامة الإنسان وحقوقه في شموليتها وأصالتها، انطلاقًا من الوحي، باعتباره مصدر الحقوق ومشرعها، وبالتالي فالإيمان بكرامة الإنسان وحقوقه ليست شعارًا انتخابيًا أو مطية يمكن ركوبها لتحقيق أغراض سياسية آنية أو مستقبلية، وإنما هو التزام عقائدي له علاقة بهدفية الوجود الإنساني وغاية الخلق.

بالإضافة إلى كونه يجسد مفهوم العدالة الإسلامية، وهذا ما يؤكده الإمام علي عندما يقول: «والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جُلْبَ شعيرة ما فعلته».

مبدأ العفو

■ **مبدأ (عفا الله عما سلف)، من المبادئ التي عمل بها الرسول ﷺ والإمام علي عليه السلام فالرسول عفا عن أهل مكة، لما دخلها فاتحًا، مع أنهم حاربوه سنين طويلة، وأخرجوه منها ومنعوه وأصحابه من دخولها للحج أو**

الزيارة، ومع ذلك خاطبهم بعد ما دخل مكة قائلًا: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». والإمام علي عليه السلام فعل مثل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما عفا عن أهل البصرة، نرجو توضيح تأثير تطبيق هذا المبدأ على المجتمع إذا مارسه أهل الحكم والسلطات، خصوصًا مع المعارضات السياسية المتعددة؟

□ في البداية لابد من معرفة أن الأنبياء والأئمة عليهم السلام، لا ينطلقون في تعاملهم مع الناس، من ردود فعل شخصية مشحونة بالانتقام أو الحقد، أو اتباع الأهواء الشخصية، وإنما تحركهم وتتحكم فيهم دوافع رسالية بعيدة عن الزلل أو الخطأ، لأنهم معصومون، وبما أنهم يعرفون حقيقة الوضع الإنساني، لذلك تراهم رحماء بالناس، صغيرهم وكبيرهم، وهذا ما أكده القرآن في أكثر من آية، مثل قوله تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}**[1]، وقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما بعثت رحمة للعالمين» من هنا فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السلام يتعاطيان مع الناس من منطلق الرأفة والرحمة بهم، ولا ننسى قضية الدعوة، فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السلام يأمران الناس بالمعروف واتباع ما أمر الله به والالتزام بقيم السماء، وينهيانهم عن كل منكر أو أي شيء يضر بدنياهم وآخرتهم. إذن فمعاملة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام، للناس بعيدة كل البعد عن ردود الفعل الاعتيادية التي نشاهدها بين الناس، والتي تتحكم فيها عادة مظاهر الانتقام والثأر، وغير ذلك من ردود الفعل النفسية والجسدية، إنهم يسيرون على المنهج الإلهي في كل شيء، لذلك جاء في بعض الأحاديث الشريفة دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المؤمنين بالتخلق بأخلاق الله، والله سبحانه وتعالى

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

رؤوف رحيم بعباده، يقبل توبتهم، ويعفو عن زلاتهم، وأبواب رحمته مفتوحة لهم كل ساعة وكل حين، بل إن الله ـ كما جاء في بعض الأحاديث ـ يكون أشد فرحًا عند توبة عبده من فرح رجل ضلت ناقته في الصحراء ثم وجدها.

وفي عدد من الروايات نجد الدعوة إلى التوبة والرجوع عن المعاصي، وأن الله غفور رحيم يقبل توبة عباده الصادقة، مهما اجترحوا من ذنوب. وعلى هذا المنهج سار الرسل والأنبياء والأوصياء لأنهم كانوا يتخلقون بأخلاق الله عز وجل.

إن الإنسان وبحكم ما يحيط به من ظروف ذاتية وموضوعية، وإغواء الشهوات والرغبات والمصالح، يسقط دائمًا في الأخطاء سواء الكبيرة منها أو الصغيرة، لذلك فهو في حاجة دائمة للتوبة. إذن فمبدأ عفى الله عما سلف من القيم الإسلامية الأصيلة التي حث عليها القرآن ومارسها الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام، واتباع الرسل والأئمة والاقتداء بهم يفرض علينا نحن كذلك أن نمارسه في حياتنا العامة، كأفراد ومؤسسات، وأحزاب وحكومات ودول، وقد تبين أن ممارسة هذا المبدأ في حياة الشعوب، أدت إلى نتائج طيبة ومفيدة للفرد وللمجتمع الذي يعيش فيه، ولو طبقته الحكومات والدول الإسلامية مع الأفراد أو الجماعات ممن يحسب على المعارضات السياسية فإنها ستحصد لا محالة نتائج إيجابية، وسيتم القضاء على عدد من المشاكل والأزمات التي لا طائل من إبقائها أو استمرارها.

هذا بالإضافة إلى أن مبدأ العفو عما سلف، يتجاوز الحالة السياسية أو غيرها من الحالات الجزئية في الحياة الإنسانية، لأنه يعكس حالة نفسية وفكرية عميقة ومتأصلة، ولها بواعث إنسانية وعقائدية، وتتمثل في الرغبة في استهداف الرحمة بالناس، وإتاحة

الفرصة لهم لتصحيح أخطائهم، والرجوع عما وقعوا فيه من زلل وشطط، أو أعمال مضرة بغيرهم، للانطلاق من جديد، وإعطائهم الفرصة لإعادة النظر في أعمالهم ومواقفهم، وتقويمها والبحث عن سبل جديدة أو مواقف مغايرة، قد تكون مفيدة وصالحة وأفضل مما سبق. ولا شك أن ممارسة هذا المبدأ على المستوى الواقعي، يتيح فرصًا أكبر لإشاعة الأمن والاستقرار والاطمئنان النفسي والاجتماعي والسياسي كذلك.

الجاليات الإسلامية في الغرب

■ دفعت الأوضاع الاقتصادية والسياسية السيئة التي تعيشها معظم الدول الإسلامية عددًا كبيرًا من المسلمين للهجرة إلى الدول الغربية، بحثًا عن الرزق أو الأمن السياسي، هل كانت نتائج هذه الهجرة سلبية أم إيجابية؟

□ في الماضي كانت النتائج سلبية في الغالب، لأن عددًا كبيرًا ممن هاجر بحثًا عن الرزق، أو لظروف أخرى ضاغطة، سرعان ما ذاب في المجتمعات الغربية، واستوعبته ثقافتها وتقاليدها المغايرة للإسلام، والسبب يعود إلى الحالة الدينية الضعيفة آنذاك، وضعف الالتزام الديني، وغياب المعرفة بالقيم الدينية، نتيجة عوامل متعددة ليس هنا محل تفصيل القول فيها، لكنها ترتبط بشكل أو آخر، بالتخلف الحضاري العام الذي سقطت فيه الأمة الإسلامية، وأدى بها في نهاية المطاف إلى السقوط في براثن الاستعمار الغربي، الذي عمل كل ما في وسعه للقضاء على الهوية الدينية للشعوب الإسلامية، وحاول توجيهها لاعتناق قيمه المادية، وما يروج له من نظريات وأفكار، تتعارض مع قيم الدين الإسلامي ومبادئه. وهذا الضعف والتخلف

من جانب، والتقدم والتطور المادي الغربي من جانب آخر، ساعد على انتشار ظاهرة الانبهار بالحضارة الغربية المتطورة والمتفوقة، وكان من نتائج هذا الانبهار والارتماء في أحضان الثقافة الغربية، الابتعاد شيئًا فشيئًا عن قيم الإسلام وثقافته ومثله، هذا ما وقع داخل العالم الإسلامي وعلى نطاق واسع. أما الذين هاجروا إلى الغرب وعاشوا في كنف حضارته وبين مجتمعاته، فسرعان ما كانت مظاهر هذه الحضارة تجذبهم بسرعة فيذوبون في قيمها الجديدة، ويتخلفون عن التزامهم بالدين وقيمه وأخلاقه، ويضربون بتقاليدهم العربية والإسلامية عرض الحائط. وهذا التحول كان يترك انطباعًا سيئًا وسلبيًا جدًا تجاه الإسلام داخل المجتمعات الغربية.

أما في الآونة الأخيرة ونتيجة انبعاث الصحوة الإسلامية، وانتشار مظاهر الالتزام بالقيم الدينية على نطاق واسع، فإن الهجرة إلى الغرب لم تعد كما كانت في الماضي، لقد تغيرت المعادلة بشكل كبير وملفت للنظر، إن هذه الصحوة الإسلامية انتشرت كذلك في بلاد المهجر وفي وسط المهاجرين المسلمين، وتوسعت كذلك ظاهرة اعتناق الإسلام من طرف الغربيين، الذين اهتموا بدورهم بالدعوة للدين الإسلامي، باعتباره يمتلك المخزون الروحي الذي يمكنه معالجة المشاكل النفسية، والفراغ الروحي، الذي تعاني منه المجتمعات الغربية، وهكذا فقد بدأت النظرة إلى الحضارة الغربية تتغير، كلما ازدادت ثقة المسلم في دينه وحضارته وذاته، وإمكانية الانبعاث من جديد والخروج من حالة الضعف والتخلف.

وقد استفاد عدد ممن هاجر إلى الغرب من هذه الحالة الجديدة، فازداد وعيهم وبصيرتهم بالحضارة الغربية، فعرفوا مواقع القوة فيها، كما استطاعوا الكشف عن نقاط ضعفها، ومكامن الانحطاط في

منطلقاتها وتوجهاتها. وهذا ما ساعد عددًا منهم على ترشيد الدعوة والتبليغ للإسلام، والدفاع عن قضايا الشعوب الإسلامية، بحيث استطاعوا أن يغيروا ـ إلى حد كبير ـ النظرة السلبية القديمة حول الإسلام من طرف الغربيين، وبدؤوا ينشرون الحقائق الموضوعية عن الإسلام والمجتمعات الإسلامية. وهذا الوضع الجديد ترك آثارًا إيجابية على وضع الإسلام والمسلمين في العالم بشكل عام. لذلك نحن متفائلون الآن للنتائج التي يمكن أن يسفر عنها النشاط الدعوي والتبليغي الذي يمارسه بعض الأفراد والجهات داخل أوساط المهاجرين في البلدان الغربية، وأملنا أن ينمو هذا النشاط ويتوسع وينضج بشكل أفضل، لكي يصبح هؤلاء المهاجرون سفراء حقيقيين للإسلام في تلك البلدان، وداخل تلك التجمعات الإنسانية، التي هي في أمس الحاجة إلى الهداية والتعرف على قيم الوحي ومبادئ الرسالة المحمدية.

استيعاب الخبرة العلمية

■ **سماحة الشيخ، كيف يمكن استثمار هذه الهجرات في مجال الدعوة للإسلام والاستفادة من العلوم الحديثة من خلال الدراسة في الجامعات الغربية المختلفة؟**

□ بالطبع يمكن الاستفادة من هذه الهجرة في عدد من المجالات، ومنها نشر الدعوة الإسلامية، لكن بشرط أن يتخلص المهاجرون المسلمون من مختلف السلبيات التي يعايشونها في مجتمعاتهم، والاكتفاء بنقل جوهر الإسلام وصفائه وقيمه السمحة والمتعالية، إلى المجتمعات التي يهاجرون إليها ويعيشون بين شعوبها. أما إذا اصطحبوا معهم سلبيات واقعهم والعناصر الموبوءة، والتي

تعتبر من المظاهر المرضية داخل مجتمعاتهم، فإنهم لن يتمكنوا من تحقيق أي شيء يذكر في مجال الدعوة للإسلام، بل ستنعكس هذه السلبيات على النظر إلى الإسلام وأهله، بالإضافة إلى أن وجودهم سيظل هامشيًا، كما نلاحظ الآن في عدد من بلدان المهجر.

أما إذا استطاعوا التخلص من هذه السلبيات والمظاهر التي تعمقها وترسخها، وانفتحوا على الحياة واستفادوا من الحقائق العلمية، وتفاعلوا مع محيطهم الجديد بإيجابية، وسادت بينهم قيم التعاون والتفاهم واللقاءات المفيدة، فإنهم بلا شك سيشكلون الجسر الذي سيربط بين الأوضاع في بلادهم، وبين الأوضاع المتقدمة في بلدان المهجر، وعليهم كذلك تقع مسؤولية نقل العلوم والتكنولوجيا المتطورة من البلدان المتقدمة صناعيًا وعلميًا إلى بلدانهم، التي هي في أمس الحاجة إلى معرفة هذه العلوم، والاستفادة، منها للخروج من حالة التخلف العلمي والصناعي.

وهناك ملاحظة لابد من الانتباه إليها، وهي أن الغرب ومؤسساته العلمية والصناعية، يحرص بشكل كبير على عدم نقل التقنية المتقدمة إلى البلدان الخارجة عن دائرته الحضارية، وفي المقابل يعمل على استقطاب الكفاءات والعقول المبدعة، التي تظهر وتبرز أثناء التحصيل العلمي، وبعض المؤسسات العلمية تقدم إغراءات مادية كبيرة لهذه الكفاءات المهاجرة، لصرفها عن العودة إلى أوطانها والاستفادة منها. والأمثلة على ذلك كثيرة، حيث فضل عدد من الطلبة البقاء في بلدان المهجر والاستقرار بها والعمل هناك، على الرجوع إلى بلدانهم والمساهمة بما اكتسبوه من علم وخبرة، في تقدم بلدانهم وتطورها.

بالإضافة إلى أن عددًا من المؤسسات العلمية والجامعية في

الغرب، والتي تدرّس بعض الاختصاصات العلمية الدقيقة والمهمة، لا تسمح للطلبة من العالم الثالث، وخصوصًا الطلبة المسلمين منهم، بالالتحاق بها، ولو كانوا من أبناء المهاجرين المقيمين رسميًا هناك لمدد طويلة، وقد حصل البعض منهم على جنسية البلد الذي هاجر إليه، وأصبح قانونيًا مواطنًا له من الحقوق ما لأبناء بلد المهجر، لكن الخوف من نقل هذه العلوم والاختصاصات الدقيقة، يضل هاجسًا لدى المؤسسات الغربية، لذلك لابد للمهاجرين المسلمين، وخصوصًا طلبة العلم منهم، أن يعوا هذه المشاكل والعقبات، ويعملوا على تجاوزها، حتى يتمكنوا فعلًا من إفادة مجتمعاتهم بعد تخرجهم ورجوعهم إلى أوطانهم، ليساهموا في تطورها وتقدمها.

الحفاظ على الهوية

■ سماحة الشيخ، كيف يتمكن المسلمون في الغرب من المحافظة على وجودهم الديني وتماسكهم الاجتماعي، للحيلولة دون ذوبانهم وانسلاخهم عن هويتهم الدينية والحضارية؟

□ لكي يحافظ المسلمون على كيانهم ومقومات هويتهم الإسلامية في الغرب، لابد من توفر أمرين، الأول العامل الثقافي والفكري، فلابد من احتضان وامتلاك ثقافة إسلامية متنورة واعية وصحيحة وحاضنة للقيم الإسلامية الأساسية والمهمة. الأمر الثاني: لابد لهم من إيجاد محيط اجتماعي، يساعدهم على المحافظة على تقاليدهم الإسلامية، وتفعيلها وإحيائها، دون أن يعني ذلك الانعزال والانكماش في دوائر مغلقة عن المحيط المجتمعي الكبير الذي يعيشون ضمنه، لكن لابد من إيجاد أجواء خاصة بهم، ومحيط

يتمكنون فيه من تربية أبنائهم، وتعريفهم بالتقاليد والشعائر الإسلامية، وتعويدهم على الاهتمام بها وممارستها، لكي لا صبحوا غرباء عنها.

الدعوة إلى الإسلام

■ **ما هي الطرق والوسائل الناجعة لنشر الدعوة وتبليغ الإسلام داخل المجتمعات الغربية؟**

□ الطريق الأمثل لنشر الإسلام، يتحقق بتوفر أمرين: **الأول:** يتعلق بالمستوى العلمي والمعرفي للخطاب الذي يوجهه الداعي المسلم لهذا المجتمع الغربي، إذ لابد من مراعاة حجم ومستوى المعرفة لدى الناس هناك، وخصوصًا المستوى العلمي الذي يعيشون فيه. وكثرة المعارف العلمية ومصادرها المتوفرة لديهم، فالوعظ والإرشاد هناك لابد أن يرتكز على الحقائق العلمية، واعتمادها والإشارة إليها، واستخدامها، في أي خطاب ديني وعظي أو توجيهي، وهذا يتطلب بدوره معرفة واطلاعًا واسعًا من طرف الداعية المسلم، الذي يحمل على عاتقه مهمة الدعوة للإسلام.

الأمر الثاني: الاستفادة الشاملة، والمتكاملة من وسائل الإعلام، في عصر الفضائيات والسينما والمسرح والانترنت، لا يمكن للإنسان أن يراهن على وسيلة واحدة فقط باعتماد الخطاب المباشر مثلًا عبر اللقاءات الشخصية أو المحاضرات، فالتأثير لن يكون بالمستوى المطلوب، لذلك لابد من الاستفادة من جميع هذه الوسائل، إذا أراد المهتمون بالدعوة الإسلامية أن يحدثوا التأثير المرغوب، وتوجيه أنظار المجتمعات الغربية إلى الإسلام وقيمه وحضارته المتميزة.

بالتسلح بالعلم والمعرفة والاستفادة من وسائل الإعلام

المتعددة، يمكن للدعوة الإسلامية أن تحقق غاياتها، ليس فقط داخل الأوساط الغربية ولكن ضمن الأوساط الاجتماعية الإسلامية المهاجرة كذلك.

شخصية الإمام الشيرازي

■ **ما هي أهم ذكرياتكم وانطباعاتكم عن الإمام المرجع آية الله السيد محمد الشيرازي دام ظله الوارف؟**

□ ذكريات وانطباعات كثيرة، لكن أهم ما يلاحظه العارف والزائر لهذا الرجل العالم والمجاهد في سبيل الله. هو أخلاقه السامية وسلوكياته التي تتصف بالعظمة. لقد مرت عليه ظروف صعبة للغاية، وعانى من مشاكل اجتماعية وسياسية كثيرة وضغوطات مختلفة، لكن طموحاته وتطلعاته لم تتأثر بهذه الظروف، ولم تتمكن حتى الضغوطات القوية أن تزحزحه عن رزانته أو أخلاقه الطيبة في التعامل مع مختلف الجهات والأفراد.

عرفته في الكويت، قبل أن يهاجر إلى إيران، وفي ذلك الوقت كان سماحته يتعرض لعدد من الضغوطات، لكن ذلك لم يؤثر فيه سلبًا، ولم يجعله يغير سلوكياته في التعامل مع الناس، وخصوصًا المناوئين منهم، ومن كان يتجرأ بالتجريح لشخصه والتهجم عليه، كان سماحته يتعامل مع الكل بروح التسامح والسمو. بالإضافة إلى همته العالية، كلما زرته أو التقيت به أجده غير متأثر سلبًا بما تعرفه الساحة من هزائم ونكسات، بل يبادر دائمًا ويطلب من زائره ويحثه على المزيد من العمل والنشاط والعطاء، ويدعو إلى الانطلاق من جديد لتحقيق المشاريع والأهداف التي تخدم المسلمين، لا يمل سماحته من الحديث عن التطلعات الكبيرة التي تحتاجها الأمة، ويدعو دائمًا إلى مضاعفة

العمل والنشاط من أجل تحقيقها، وهذا لا نجده عند الكثيرين الذين لا يتجاوزون المشاكل الخاصة والهموم المحدودة، والأهداف الجزئية، بينما تجد سماحته دائم الاهتمام والتطلع للأهداف الكبرى للأمة، مشغولًا بعلاج المشاكل الكبرى التي تعترض العاملين في سبيل الله، مشجعًا وداعمًا لهم، بتوجيهاته وكتاباته الشمولية والمتفائلة بالتغيير والمستقبل الأفضل.

كذلك يلاحظ عليه النشاط الدائم والدؤوب في جميع المجالات المتعلقة بالعلم والدعوة، فهو إما مشغول بالتأليف أو التدريس، أو يباشر عملًا دعويًا، وعندما كان سماحته في الكويت، كان دائم الحركة والنشاط، يقضي مجمل وقته في اللقاءات والزيارات والاجتماع مع العاملين في مجال الدعوة والتبليغ، دون أن يمنعه ذلك من تخصيص الوقت للكتابة والتأليف، لأن الكتابة جزء من حياة السيد وكيانه، لا يمكن أن يعيش دون أن يحمل القلم ويكتب لدرجة يمكن القول معها، ودون مبالغة بأن القارئ لكتاباته يجد نفسه مسبوقًا، ولا يتمكن من مواكبة كل ما يكتبه السيد حفظه الله، لكثرة ما يكتب، وهذا واضح في عدد مؤلفاته.

صفات الداعية

■ سماحة الشيخ، ما هي الصفات التي ينبغي توفرها فيمن يتصدى لعملية التبليغ والإرشاد؟

□ لابد له أولًا من معرفة الواقع الذي يتحرك فيه والظروف المحيطة به، حتى لا تفاجئه وقائع أو معطيات لم يكن على علم بها، وليكون على استعداد معرفي وعلمي لمواكبة احتياجات واقعه. بالإضافة إلى الخطة الواضحة والمدروسة التي سيعمل من أجل

تنفيذها وتطبيقها، حتى لا يكون عمله عشوائيًا ارتجاليًا دون تخطيط.
ثانيًا الحالة النفسية القوية والمستعدة، التي تجعله يواجه العقبات بصبر وحلم وأناة، وتساعده على امتلاك الحس المهني الذي يساعده كذلك على المثابرة والتحدي، بالإضافة طبعًا إلى التحلي بالأخلاق الكريمة.

يقول تعالى: { **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ** }[1]

ففي هذه الآية الكريمة إشارة إلى هذه الجوانب النفسية والأخلاقية، وخصوصًا الإشارة إلى حالة الصبر، فالدعوة وما يتبعها من مشاكل وعقبات لا يمكن تجاوزها والتغلب عليها إلا بالصبر، وهناك إشارة أخرى تتعلق بالجانب العلمي والمعرفي لأن اليقين لا يتأتى إلا بالمعرفة الصحيحة والعميقة. هذه الصفحات الأساسية: المعرفة بالمحيط الاجتماعي وما يدور فيه من قضايا ومشاكل، وإنجاز خطة علمية مدروسة ومحددة الأهداف، بالإضافة إلى الجوانب النفسية والتحلي بالأخلاق الحميدة. هي أهم ما يجب أن يتحلى به ويعرفه الداعية أو العامل في مجال التبليغ الإسلامي.

نحو ارتقاء روحي

■ **كيف السبيل لرفع مستوى العاملين في مجال الدعوة، للوصول إلى المراتب العليا في مجال الأخلاق الفاضلة والصفاء الروحي، واجتناب الوقوع في بعض الرذائل النفسية مثل الحسد والرياء؟**

□ على العاملين في مجال الدعوة إلى الله أن يهتموا أكثر من غيرهم

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

بالتربية الروحية، ويقووا اتصالهم بالله عز وجل، لأنهم معرضون أكثر من غيرهم للسقوط في الأخطاء والمخاطر، لذلك لابد لأي عامل في سبيل الله من برنامج روحي مكثف خاص به، يستعين به على تصفية وتنقية نفسه من كل الأدران، والميول والبواعث السيئة. أضف إلى ذلك أهمية التواصي والتناصح الذي يجب أن يسود داخل أوساط المؤمنين والعاملين في سبيل الله، لأنه السبيل للتقدم في مجال الدعوة، وتنمية قدرات ونفسيات العاملين في هذا المجال. وقد وردت أحاديث وروايات كثيرة تحث وتدعو للمناصحة والنصيحة.

[*] الحوار الخامس[1]:

الشيخ الصفّار والحديث عن الشباب

(١) الوطن: صحيفة يومية سعودية، العدد ٧٥، السنة الأولى، الأربعاء ١٧ رمضان ١٤٢١هـ ـ ١٣ ديسمبر ٢٠٠٠م.



■ **شهر رمضان هذا الشهر الفضيل العظيم الذي تعم بركته وخيره على الجميع، هل يعني للشباب شيئًا مميزًا ومعنى خاصًا؟**

□ نعم، فلعل من أبرز حكم الصوم تصليب وتقوية الإرادة عند الإنسان، حيث تمتلئ نفسه بالغرائز والشهوات والرغبات، وكل رغبة أو شهوة تلحّ عليه لكي يستجيب لها ويلبيها، لكنه بحاجة إلى الموازنة بين رغباته، وإلى التوفيق بين الرغبات والمصالح الضرورية لحياته المادية والمعنوية، ورغم أن الله تعالى زوّد الإنسان بعقل راجح، ينير له الدرب، ويرشده إلى التوازن والاستقامة، إلا أن ضغط الشهوات والرغبات قد يتغلب على صوت العقل وندائه، إن لم تكن للإنسان إرادة قوية تنتصر لإرشادات عقله.

والصوم باعتباره برنامجًا لضبط الرغبة والشهوة، حيث يجب أن يمتنع الصائم عن المفطرات، والتي تعوّد على تناولها كل يوم، وأصبحت عادة ونظامًا لحياته اليومية طوال السنة، لكنه يتوقف عنها فورًا مع بداية الصيام، مما يدّربه على مواجهة الرغبة والشهوة، ويجعله

قادرًا على إصدار القرارات وإلزام نفسه بها.

والشباب والشابات يعيشون فترة استيقاظ الرغبات واشتداد ضغوطها، فمرحلة الشباب حساسة جدًا لجهة تبلور الأحاسيس والعواطف، وبلوغ الشهوة أوجها في نفس الشاب والشابة.

مما يجعل الشباب في حاجة أكبر إلى قوة الإرادة، لمواجهة ضغط الرغبة والشهوة، إن ذلك يشبه حاجة قائد السيارة وهو ينحدر بها من طريق مرتفع إلى قوة الفرامل والكوابح (بريك) وإلا تعرض لخطر فقدان السيطرة عليها.

والصوم كبرنامج لتنشيط الإرادة يكون أكثر ضرورة وأهمية في مرحلة الشباب.

لذلك نجد أن رسول الله ﷺ يوجه الشباب الذين لا يتمكنون من إشباع غريزتهم الجنسية عبر الزواج، أن يقووا إرادتهم بالصوم، حتى لا يدفعهم ضغط الشهوة إلى الانحراف. كما جاء في صحيح البخاري ومسلم عنه ﷺ أنه قال: «يا معشر الشباب من استطاع منكم البَاءَة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء»[1].

فمن تمكن من تكاليف الزواج (الباءة) فليتزوج، ومن لم يستطع فليواظب على الصوم فإنه كابح وقامع (وِجاء). أي أنه يمنح الإنسان القدرة على ضبط شهواته وذلك بتصليب إرادته.

شهر رمضان ومغريات العصر الحاضر

■ في شهر رمضان تتسابق القنوات الفضائية ومحطات التلفزة على استقطاب المشاهدين عبر برامج المسابقات

(١) صحيح البخاري، حديث رقم ٥٠٦٥.

والأفلام وسواها، ويتسمّر الشباب والشابات بالفعل ساعات طويلة أمامها لمتابعة تلك البرامج، فما تعليقكم على هذه الظاهرة؟

□ لا شك أن وسائل الاتصال والإعلام من فضائيات وإنترنت أصبحت مصدرًا من مصادر المعرفة والتثقيف لا يمكن الاستغناء عنها، لكنها في الغالب تعتمد برامج الإثارة، وتحريض الرغبات والشهوات عند الإنسان، خاصة الشباب والشابات، وتقوم بدور التبشير والترويج لأنماط سلوكية مخالفة لنظام القيم في مجتمعاتنا الإسلامية، وبعض برامجها قليل الفائدة إن لم يكن عديم الفائدة ويضيع وقت المشاهد هدرًا.

إننا لا نطلب من الشباب مقاطعة هذه الوسائل الإعلامية، لأن ذلك يعني الانغلاق والانطواء، ولكننا نلفت أنظارهم إلى ضرورة التقويم والنقد والتمييز، فلا يسلِّموا عقولهم ونفوسهم لما يعرض عليهم دون دراسة وبحث وتمحيص.

فليختاروا البرامج المفيدة النافعة التي تجعلهم أكثر وعيًا بأوضاع العالم وأحداثه، والتي تمكنهم من الاطلاع على التطورات العلمية والمعرفية، وليصونوا أذهانهم ونفوسهم من تسلل وتسرّب الملوّثات والانحرافات، التي تضعف لديهم حالة الجدّية والاهتمام بحياتهم ومستقبلهم.

السهر في شهر رمضان

■ من المتغيرات الملحوظة على الشباب في شهر رمضان عادة السهر في الليل والنوم أطول فترة من النهار حتى يتلافوا عناء الصوم ويستمتعوا بليالي شهر رمضان

ذات النكهة الخاصة، فهل لكم وجهة نظر حول هذا الموضوع؟

□ لا أحبذ كثرة القيود والتدخل في حياة الناس الخاصة، وحريتهم في تنظيم برامجهم وعاداتهم، وخاصة إذا كان هذا التدخل باسم الدين والشرع، فالدين ليس مجرد قائمة من الممنوعات والمحظورات لتعقيد حياة الإنسان، ومكافحة ميوله ورغباته، بل إنه دين يعطي الإنسان أقصى حرية وأوسع مدى للاستمتاع بهذه الحياة. ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾.

لذا يقرر الفقهاءَ أن الأصل في الإسلام الإباحة والحليّة حتى يثبت العكس فكل شيء مباح وحلال إلا إذا ثبت استثناؤه بالمنع والتحريم من قبل الشرع.

لذا فإن عادة السهر في ليالي رمضان والنوم في نهاره إذا لم تصطدم مع الوظائف والواجبات الأخرى، فذلك أمر متروك لرغبة الإنسان وحريته.

ونشير هنا إلى بعض حالات التصادم: مثل انعكاس السهر على أداء الإنسان لعمله المكلف به في النهار، فإذا كان موظفًا ولم يأخذ حظه من النوم، وجاء إلى العمل متعبًا كسلانًا، فإن ذلك يسبب ضعف إنتاجيته، وقد يجعله سيئ التعامل مع زملائه في العمل ومع المراجعين.

هنا يحصل تصادم بين هذه العادة وبين الوظيفة الواجبة، وهذا لا يصح شرعًا ولا يُقبل عقلًا.

بالطبع لا يفوتنا إن ننبه إلى ما تذكره بعض البحوث العلمية من أن النوم والسكون يقلل استفادة الإنسان الصحية من الصوم، حيث أن الحركة العضلية في فترة ما بعد امتصاص الغذاء -أثناء الصوم-

تنشط جميع عمليات الأكسدة لكل المركبات التي تمد الجسم بالطاقة، وتنشط عملية تحلل الدهون، كما تنشط أيضًا عملية تصنيع الجلوكوز بالكبد.. لذلك من المفضل أن يكون الصائم في حالة حركة ونشاط، لا في حالة نوم وخمول هذا من الجانب الصحي، وحتى من الناحية النفسية فإن النوم يفقده التفاعل بأحاسيسه ومشاعره مع فريضة الصوم، حيث لا يحس جوعًا ولا عطشًا، ولا يشعر بعناء ولا تعب، وبالتالي لا يترك الصوم أثرًا على نفسيته من هذه الجهة.

■ **لكن سهرات الشباب في ليالي شهر رمضان غالبًا ما تكون إضاعة للوقت، في جلسات مفتوحة ليست ذات فائدة، بل هناك بعض الممارسات التي يقوم بها بعض الشباب على الكورنيش أو بعض الأماكن العامة منافية للآداب والاحترام؟**

□ نعم هذه قضية أخرى ترتبط باهتمام الإنسان بعنصر الزمن، فالوقت هو أهم رصيد ورأسمال للإنسان، بل إن حياة الإنسان وعمره هو الوقت والزمن الذي يعيشه، وأي تفريط في الزمن يعني الأخذ من رصيد الحياة، وخسارة أجزاء من العمر، لذلك ينقل عن الإمام علي عليه السلام له: «ما نقصت ساعة من دهرك إلا بقطعة من عمرك» ورويت عنه كلمة أخرى يقول فيها: «إن عمرك وقتك الذي أنت فيه».

وخاصة في مرحلة الشباب يكتسب الزمن أهمية مميّزة، فالشباب يعيش مرحلة صنع المستقبل، وتكوين الشخصية، فهو بحاجة إلى أي لحظة لتكريسها واستثمارها باتجاه أهدافه وتطلعاته.

ومؤسف جدًا أن يتباهى بعض شبابنا بهدر أوقاتهم، أو قتل الفراغ، كما يقولون، بينما تنتظرهم مهام كبيرة، وتواجههم تحديات

خطيرة، على المستوى الشخصي، وعلى صعيد الأمة والوطن، إن التفوق العلمي هو طريق تقدم الشباب، وهو بحاجة إلى الاجتهاد والمثابرة على التعلم والدراسة، فكيف يرضى الشباب لنفسه أن يبدّد أوقاته ثم يأتي بمعدل منخفض في نتائج امتحاناته الدراسية.

والعمل والوظيفة أصبحت همًّا أساسيًا في حياة الشباب، وكلما امتلك كفاءات وخبرات أكثر، كانت فرصته للوظيفة والعمل أكبر. وقد تجد شابًا يبثّ لك همومه في عدم حصوله على عمل، ثم تسأله عن ما لديه من خبرات وكفاءات فلا تجد عنده غير الشهادة شيئًا!! إن اكتساب لغة أجنبية، أو التمرّس في استخدام الحاسب الآلي، أو التوّفر على كفاءة أو خبرة فنية يساعد الشاب كثيرًا في ترتيب مستقبل حياته.

فلماذا لا يستغل هؤلاء الشباب أوقاتهم بهذا الاتجاه؟

وكيف يجدون لديهم فراغًا ومتسعًا من الوقت يقضونه في سهرات مفتوحة غير نافعة؟

إنّ شهر رمضان يجب أن يلفتنا إلى أهمية عنصر الزمن في حياتنا، لأن الله تعالى حدّد فريضة الصيام بهذا الشهر، وجعل للصوم وقتًا محدّدًا من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فلوا نقصت منه دقيقة واحدة من أوله أو آخره كان صيامك باطلًا، ولو تجرأت على إفطار يوم منه دون عذر، كانت عليك عقوبة شديدة، عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكينًا.

■ توجد في المجتمع برامج دينية ثقافية في شهر رمضان كمجالس الخطابات والمحاضرات لكن إقبال الشباب والشابات عليها ليس بالمستوى المطلوب فإلى أي سبب يعزى ذلك؟

□ هنالك أسباب عديدة، منها ما يرتبط بتعدد والانشغالات والاهتمامات عند الشاب كالدراسة والانشداد لوسائل الإعلام، والعلاقات الاجتماعية، والتسوق، وتغيّر توقيت بعض الأعمال حيث أصبحت تجري ليلًا في كثير من المؤسسات والشركات وخاصة في شهر رمضان.

ومنها ما يرتبط بضعف الاندفاع والاهتمام عند الشباب للتزود من المعارف الدينية، والثقافية الإسلامية، بسبب الاستغراق في الاهتمامات المادية، وضعف التربية الدينية، أو ارتباطهم بشلل وصداقات تصرفهم عن هذه التوجهات.

لكن هناك سببًا هامًا وأساسيًا يرتبط بمستوى البرامج الدينية المطروحة، حيث يقصّر بعض الخطباء والواعظين في تجديد خطابهم وطروحاتهم، وفي توفير مادة معرفية جيدة، وتقديمها بأُسلوب جماهيري جذّاب.

إن الخطاب الديني غالبًا يكون تقليديًا ومكررًا، وفاقدًا للحيوية، وغير مواكب لما يعيشه الشباب من هموم وتطورات، وبالتالي يعجز عن استقطاب الشباب وحشدهم، ونجد في المقابل علماء وخطباء مبدعين، يقدمون المفاهيم الدينية بأسلوب عصري واضح، ويعالجون قضايا الشباب والمجتمع بعمق وحكمة، وهؤلاء الخطباء عادة ما تزدحم مجالسهم بالمستمعين، ويقبل عليهم جمهور الشباب.

إن وسائل الاتصال شديدة للخطاب الديني، وجعله أمام تحد كبير، فإذا كان الشاب يشاهد برامج علمية وفكرية تتنوع فيها الآراء، والطروحات، ثم يقارن ذلك بلغة وعظية مكررة وقاسية، لاشك أنه سينفر منها ويقبل على برامج الفضائيات.

وعلى علمائنا وخطبائنا أن يرتقوا بخطابهم إلى مستوى التحدي،

ويتوفروا على مادة علمية، ومواكبة عصرية، وأسلوب مناسب، امتثالًا لقوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالموْعِظَةِ الْحُسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾.

إن مجرد التهجم على الشباب واتهامهم بالطيش والفساد وتهديدهم بالنار والعقاب لا يحقق الهدف المنشود من إصلاحهم وتوجيههم، بل ينبغي الحوار معهم والانفتاح عليهم، وتحسس همومهم وظروفهم، والتحدث معهم باللغة التي يفهمونها ويعرفونها، وتلك هي الحكمة التي تقتضي وضع الشيء المناسب في المكان المناسب، وهي الموعظة الحسنة، التي تعني تهيؤ النفوس للتقبل، والاستجابة وذلك مصداق للجدال بالتي هي أحسن، أي الحوار الموضوعي الهادئ.

[*] الحوار السادس[1]:

التعايش في ظلّ التنوعات المذهبية

(١) المواقف: مجلة أسبوعية بحرينية، أجرى الحوار: عقيل ناجي المسكين، العدد ١٢٦٦، السنة ٢٨، الاثنين ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ ـ ١٧ سبتمبر ٢٠٠١م.



في حديثنا مع فضيلة الشيخ حسن موسى رضي الصفار، العالم القطيفي المعروف الذي اختص به (المواقف)، تحدث فضيلته عن العديد من القضايا والمواضيع التي تتعلق بالحرية في الإسلام والتعددية المذهبية وإمكانية التواصل والتحاور بينها.

كما تحدث الشيخ الصفار عن التطورات والإصلاحات الإيجابية التي تشهدها البحرين في العهد الجديد حيث أكد أن مبادرة سمو الأمير بالإفراج عن المعتقلين وتسهيل عودة القيادات الدينية والسياسية من الخارج وإتاحة الفرصة للتعبير عن الرأي وحل المشاكل المعلقة، كل ذلك يخلق أجواء مناسبة لتوطيد الاستقرار وتحقيق الوحدة الوطنية ..

وفيما يلي الحوار:

التطورات السياسية في البحرين

■ **التطورات الإيجابية الكبيرة التي حصلت في البحرين أخيرًا، كيف تنظرون إليها وكيف تقرأونها؟**

□ التواصل والتداخل الاجتماعي بين أهالي المنطقة الشرقية

وشعب البحرين تواصل عميق، فوشائج النسب، وعلاقات القرابة، مستحكمة بين العديد من الأسر والعوائل في الجانبين، حيث أن بعض الأسر في المنطقة أصلها من البحرين، وكذلك هناك أسر في البحرين أصلها من المنطقة، إضافة إلى علاقات المصاهرة الكثيرة، وأساسًا كانت القطيف والأحساء والبحرين منطقة واحدة تاريخيًا، هذا التداخل والتواصل الاجتماعي، يجعلنا متفاعلين مع كل ما يحدث في البحرين، فهم أهلنا وإخوتنا.

لذلك فمن الطبيعي أن نتفاعل مع هذه التطورات الأخيرة، وأن نتفاءل بها خيرًا، فالتحديات الكبيرة التي تواجه أوطاننا وأمتنا تستوجب أعلى قدر من الوحدة والانسجام الوطني. ومبادرة سمو أمير البحرين بالإفراج عن المعتقلين، وتسهيل عودة القيادات الدينية والسياسية من الخارج، ومعالجة بعض المشاكل التي كانت قائمة، وإتاحة الفرصة للتعبير عن الرأي، كل ذلك يخلق أجواء مناسبة لتوطيد الاستقرار والأمن، وتحقيق الوحدة والانسجام.

وشعب البحرين بقواه الواعية الفاعلة يستحق كل خير، وكل تقدير واحترام، لصموده وتضحياته، ولتجاوبه مع مبادرات الأمير الطيبة. ونأمل أن تتطور الأوضاع في البحرين إلى الأفضل إن شاء الله بتحقيق كل ما يصبو إليه الشعب والحكومة من الآمال والتطلعات المجيدة.

التنوع المذهبي والوحدة الوطنية

■ في دول مجلس التعاون الخليجي هناك تعدد مذهبي سنة وشيعة وأباضية، وضمن السنة هنالك موالك وحنابلة وشافعية، وضمن الشيعة هناك زيدية وإسماعيلية، فهل

يؤثر هذا التعدد المذهبي على الوحدة الوطنية في هذه الدول؟

□ التعددية والتنوع ظاهرة قائمة في كل المجتمعات البشرية، فليس هناك مجتمع متجانس بالكامل ١٠٠٪. فبعض المجتمعات تتعدد فيها الأعراق والقوميات، وبعضها تتعدد فيها الأديان، وبعضها تتعدد فيها المذاهب أو التوجهات السياسية. وقد تحدث القرآن الكريم عن التنوع العرقي والقومي واعتبره من دلالات القدرة الإلهية وعظمتها يقول تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**﴾[(١)].

كما تحدث القرآن الكريم عن تعدد الديانات، واعتبره ظاهرة طبيعية في هذه الحياة، لأن الله تعالى قد منح الإنسان حرية الاختيار، وأودع في نفسه نوازع الخير والشر، ويوم القيامة هو يوم الفصل والحساب يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالمجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[(٢)].

بل إن التنوع والتعدد ظاهرة كونية، فعلى مستوى كل المخلوقات والكائنات، هناك أصناف وألوان وأشكال، تدل على إبداع الخالق وقدرته يقول تعالى: ﴿**وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ**﴾[(٣)].

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢٢.
(٢) سورة الحج، الآية: ١٧.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤١.

ومن الطريف في هذا السياق ما نشرته الصحف هذه الأيام حول احتفالات الهند بعيد (المانغو) والتي أصبحت تقيمها سنويًا منذ عام ١٩٨٨م وتستمر يومين في شهر تموز (يوليو) فقد أشارت إلى أنه يوجد في العالم اليوم ١٢٠٠ صنفًا معروفًا من المانغو، وفي الهند وحدها موئل لـ١١٠٠ من هذه الأصناف. (جريدة الحياة ١٣/ ٧/ ٢٠٠١م).

فنحن إذًا أمام سنة كونية وظاهرة اجتماعية طبيعية. ويقاس الآن وعي المجتمعات ونضجها، ومستوى تحضرها، بمقدار نجاحها في التعامل الإيجابي مع التعدد والتنوع الداخلي، فالمجتمعات المتحضرة المتقدمة تعتبر التنوع مصدر إثراء وإغناء لتجربتها الحضارية، فتحترم الخصوصيات لكل فئة وطائفة مهما كانت قليلة وصغيرة، وتخضع لقانون وطني عام على صعيد حقوق المواطنة وواجباتها، يتساوى فيه الجميع على اختلاف أعراقهم وأديانهم ومذاهبهم وتوجهاتهم.

أما في المجتمعات المتخلفة فغالبًا ما يكون التنوع سببًا للظلم والحيف، بأن تجور فئة على أخرى، أو تصادر جهة حق سائر الجهات في ممارسة خصوصياتها، أو يفصّل ثوب الوطن على مقاس طائفة واحدة.

وفي دول مجلس التعاون الخليجي ليس عندنا تعدد في القوميات ولا في الأديان، فالمجتمعات الخليجية تنتمي إلى الأمة العربية، وتدين بالإسلام والحمد لله.

أما التنوع المذهبي فهو يعني الاختلاف في بعض التفاصيل المرتبطة بالمعتقدات أو الأحكام الفقهية، مع الاتفاق على أساسيات العقيدة، وأركان الدين، ومعالم الشريعة.

وهذا الاختلاف لا ينبغي أن يؤثر أبدًا على الوحدة الوطنية، ما

دام الجميع يؤمنون بدين واحد يدعوهم إلى الوحدة والتعاون، حيث يقول تعالى ﴿**إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾[١] ويقول تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾[٢].

قضية التعايش والحوار

■ **تتحدثون في كتاباتكم وخطاباتكم كثيرًا عن التعددية والتنوع والتعايش وعن أهمية التلاقي والحوار والتعاون بين أبناء الأمة بمختلف اتجاهاتهم ومذاهبهم فقد صدر لكم كتاب (التعددية والحرية في الإسلام) وكتاب (التنوع والتعايش) وكتاب (التطلع للوحدة) وكذلك المحاضرة التي ألقيتموها في الرياض أخيرًا تحت عنوان (السلم الاجتماعي) ونالت اهتمامًا وصدى واسعًا فما هو سبب تركيزكم على هذا الطرح، واهتمامكم بتأكيده؟**

□ حديثي عن التعايش والتلاقي والحوار أنطلق فيه من مفاهيم الإسلام وتعاليمه، فالقرآن الكريم يشرّع للتعايش السلمي مع الكفار المخالفين لنا في الدين، ويشجع على التعامل معهم بعدالة وإحسان يقول تعالى: ﴿**لاَ يَنْهَاكُمْ اللهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾[٣].

والقرآن يأمرنا أن نلتزم بأفضل آداب الحوار حينما نتناقش مع

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ٨.

اليهود والنصارى في أمور الدين يقول تعالى: ﴿**وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[١].

والقرآن يدعو المسلمين إلى عدم التنازع فيما بينهم حتى لا تهدر طاقاتهم وقدراتهم في الصراعات الداخلية، ويفشلون في إثبات وجودهم بين الأمم يقول تعالى: ﴿**وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**﴾[٢] كما أنطلق في حديثي عن التقارب والتعاون بين أبناء المجتمع، من معطيات العقل والواقع، فنحن نعيش عصر العولمة والانفتاح، حيث أصبح العالم قرية واحدة، فهل من المعقول أن ننغلق تجاه بعضنا البعض؟ بينما تنفتح كل غرفة من غرف بيوتنا على العالم كله عبر أجهزة التلفاز وقنوات البث المباشر؟

ويدور الآن حديث عن حوار الحضارات والذي خصصت له هذه السنة من قبل الأمم المتحدة، فهل من المنطق أن نتحاور مع الحضارات الأخرى، ونتردد في الحوار الداخلي فيما بيننا؟

ثم إن الأخطار المشتركة التي نواجهها كأمة عربية وإسلامية ومن أبرزها تحدي العدوان الصهيوني الذي يسرح ويمرح في مقدساتنا، ويحتل أراضينا، وينتهك حرماتنا، ويقتل النساء والأطفال، ويهدم البيوت، ويحرق المزارع في فلسطين.. أليس من العيب والمخجل أن نتشاغل عنه بالخلافات الجانبية حول قضايا جزئية، وأحداث تاريخية، أكل عليها الدهر وشرب؟

وهناك تحدي العولمة والحفاظ على الهوية، وتحدي التخلف العميق الذي نعيشه، ويجب أن نفكر في تجاوزه، وهناك المشاكل التي

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

تواجهها مجتمعاتنا في كل المجالات والميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والتي نشترك فيها جميعًا، وتهدد واقعنا ومستقبلنا ..

إلا يدعونا كل ذلك للاقتراب من بعضنا البعض، وللتعاون من أجل المصلحة المشتركة، والمستقبل الواحد؟

وإذا كنت أركز وأُكثر من تناول هذا الموضوع فذلك لما ألحظه من وجود تعبئة في بعض الأوساط باتجاه الخلافات والفتن المذهبية الطائفية، فبين فترة وأخرى تصدر فتاوى، وتوزع منشورات، وتلقى خطب، لإثارة النزاع المذهبي، ولتعبئة هذه الطائفة ضد تلك، ولاجترار مآسي الماضي، وخلافات التاريخ المنقرض، وهناك ممارسات طائفية من قبل البعض تهدد وحدة أوطاننا، وتشكل خطرًا على السلم في مجتمعاتنا، لذلك يجب مواجهة هذه التعبئة وهذا التوجه ببث الفكر الوحدوي الصحيح، ونشر ثقافة الألفة والتعاون والإصلاح يقول تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**﴾[1] ويقول تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا**﴾[2].

مبادرات لاختراق الحواجز

■ **هل حصلت بالفعل لكم لقاءات مع علماء من سائر المذاهب الإسلامية في المنطقة؟ وهل وجدتم أرضية للحوار والتعاون معهم؟**

□ بحمد الله تعالى فقد اجتمعت مع العديد من العلماء من

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

مختلف المذاهب من السنة والزيدية والإباضية، ومن خلال تلك الاجتماعات واللقاءات أحسست بالحاجة أكثر إلى التلاقي والحوار، لأني وجدت أن معلومات كل طرف عن الآخر تعاني من التشويش والغموض في كثير من الأحيان، لأننا نتعرف على بعضنا من خلال كتابات المناوئين والمغرضين، أو عبر معلومات ناقصة وغير متكاملة، مما يجعل صورة كل طرف عن الآخر مشوهة ومبتورة، وأذكر أني اجتمعت مع أحد كبار العلماء من أهل السنة، فأثار بعض الملاحظات على الشيعة مستندًا إلى كتابات محب الدين الخطيب المصري وإحسان الهي ظهير الباكستاني، فقلت له: يا شيخ كيف تعتمد على انطباعات أناس مناوئين للشيعة؟ ثم إنك قريب من الشيعة، وتعيش معهم في بلد واحد، فلماذا لا تتعرف على واقعهم من خلالهم وهم يعيشون بجوارك بدل أن تأخذ المعلومات عنهم من مصر أو الباكستان؟

وأعتقد أننا بحاجة إلى تكثيف المبادرات، واختراق الحواجز المصطنعة بيننا، لكي نتعرف على بعضنا بشكل مباشر، ولكي نتعلم على الحوار الصريح، ونتربى على قبول الرأي الآخر واحترامه مهما اختلفنا معه.

لقد أقمت في سلطنة عمان أكثر من سنتين في السبعينيات والتقيت مع بعض علماء الإباضية وأدبائهم، وكانت تربطني علاقة طيبة بالمفتي الراحل للأباضية الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري رحمه الله، ثم كانت لي علاقة بخلفه المفتي الحالي للسلطنة الشيخ أحمد الخليلي، وكذلك مع وزير العدل في تلك الفترة الشيخ هلال السّمار، ووزير الأوقاف آنذاك الوليد بن زاهر الهنائي وغيرهم. ومن علماء الزيدية في اليمن توطدت معرفتي وعلاقتي مع عالمهم الكبير السيد بدر الدين الحوثي، والعالم الفاضل السيد علي عبد الكريم الفضيل،

والعالم المفكر الإسلامي المعروف السيد إبراهيم بن علي الوزير، كما التقيت وتواصلت مع العالم الأديب السيد أحمد الشامي الذي أصبح وزيرًا للأوقاف لفترة قصيرة قبل سنوات، وآخرين من علمائهم وشخصياتهم.

وفي بلادي المملكة العربية السعودية زرت سماحة المفتي الراحل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله واجتمعت معه مرتين بصحبة بعض المشايخ والأخوة من القطيف والأحساء، كما التقيت فضيلة الشيخ صالح اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى وفضيلة الشيخ محمد بن زيد رئيس المحاكم الشرعية في المنطقة الشرقية، وبين فترة وأخرى أزور رئيس وقضاة المحكمة الشرعية الكبرى عندنا في القطيف.

والحمد لله وجدت عند هؤلاء العلماء استقبالًا طيبًا وأخلاقًا كريمة واستعدادًا للتحادث والنقاش في ما يتعلق بمصلحة الإسلام والمسلمين.

العلاقات الداخلية

■ **وماذا عن العلاقات الداخلية ضمن المجتمع الشيعي، حيث تبرز على السطح بعض الأحيان خلافات وتشنجات بين أتباع التوجهات أو المرجعيات المختلفة؟**

□ الشيعة كأي مجتمع بشري لا يمكن أن يكونوا ضمن قالب واحد، وعلى نمط واحد في التفكير والتوجهات، فعندهم كما عند غيرهم تعددية وتنوع في إطار مذهبهم، بعضها منبثق من اختلاف الرأي في المسائل العلمية الدينية، كما هو الحال في الخلاف بين مدرستي الإخباريين والأصوليين، وبعضها يعود إلى الاختلاف في

المواقف السياسية والاجتماعية، إما بسبب اختلاف الرؤية والتقويم، أو لتضارب المصالح.

والمطلوب من الشيعة كما هو مطلوب من كل فئات الأمة أن يديروا خلافاتهم بالطرق السلمية، على أساس الحق في الاختلاف، واحترام الرأي الآخر، والاستفادة من أسلوب الحوار والتعامل الإيجابي، وتغليب المصلحة العامة على المصالح الفئوية، والتعاون في المساحات المشتركة.

كلمة لشعب البحرين

■ **هل من كلمة أخيرة توجهونها لشعب البحرين عبر مجلة المواقف؟**

□ إننا نتطلع إلى نجاح هذه التجربة الواعدة التي يعيشها إخوتنا وأهلونا في البحرين، ونأمل أن يحرص الجميع على إكمال مشوار الانفتاح والانسجام بين الحكومة الشعب، بحيث تعالج كل القضايا بروح إيجابية وطنية، وذلك لمصلحة الحكومة والشعب، والمنطقة كلها، من خلال أطر قانونية ثابتة، ومؤسسات ديموقراطية مستقرة.

ونأمل أن يستعيد شعب البحرين دوره الريادي في المنطقة على المستوى العلمي والأدبي فتاريخه حافل بالأمجاد العلمية والإنجازات الأدبية.

[*] الحوار السابع[1]:

التساؤلات الإسلامية والوطنية المعاصرة

---

(١) المدينة: صحيفة يومية سعودية، أجرى الحوار: علي باقر الموسى، في الملحق الأسبوعي للصحيفة «الرسالة»، العدد ١٤١٦٦، السنة السابعة والستون، العدد التاسع والتسعون، ٢١ ذو القعدة ١٤٢٢هـ= ٤ فبراير ٢٠٠٢م.



حسن الصفار من العلماء المدركين لأهمية انسجام الأمة والحفاظ على وحدتها وتوفير طاقاتها فيما ينفعها، فهو دارس مؤصل للفقه والعلوم الإسلامية وفق المذهب الجعفري، لكنه لم ينحصر في هذا الطريق بل أشرع نوافذه للهواء الطلق وفعل انتمائه لهذه الأرض المباركة (السعودية) واستحضر مواطنيته في خطابه الدعوي والتربوي وحاول تكريس صورة الفرد السعودي المسلم بوصفها هي الصورة الرئيسية لجميع أبناء هذا البلد، وما سوى ذلك فهو تنويعات واختلافات مستوعبة في رحم الوطن والدين الواحد. والصفار الذي كرس إنتاجه وجهده لهذه الغاية، كان متواصلًا مع الجميع فقد كان على صلة ومراسلة مع سماحة المفتي الراحل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، واجتهد في أن يكون جسرًا بين المدرسة السنية والشيعية في وطنه تعزيزًا للمتفق فيه وتوضيحًا للمختلف عليه. ولعل الصفار في نتاجه الواسع (كاسيت، خطب، دروس، محاضرات، كتب....الخ) قد قارب الغاية التي كان يتوخاها، ومؤخرًا نشط الشيخ الصفار في المنتديات والصحف صوتًا معتدلًا ودعوة للتسامح والوعي بالذات، ومن آخر ذلك استكتابه بشكل دائم في صحيفة اليوم السعودية، وفي

هذا الحوار الذي نجريه معه في (الرسالة) تعريج على الطريق الأصوب في الحوار يجمع الكلمة، ونتناول أيضًا انعكاسات ١١ سبتمبر على الدعوة الإسلامية والعالم الإسلامي كله، ونسأل الصفار عن موقفه من الثنائية التي وضع فيها بوش وبن لادن العالم الإسلامي ازاءاها «معي أو ضد الحضارة عند بوش ومعي أو ضد الإسلام عند بن لادن» استنكر الصفار في هذا الحوار هذه الهجمة المحمومة ضد المملكة العربية السعودية.

احترام الذات

■ **كيف نستطيع استعادة زمام المبادرة بين أمم العالم حيث يقبع المسلمون الآن في قاع الأمم؟**

□ أود في البداية أن أتوجه بخالص شكري وتقديري لجريدة المدينة المنورة وخاصة ملحقها الأسبوعي (الرسالة) لإتاحتها لي فرصة الإطلال على قرائها الكرام، ولما أجده في هذه الجريدة من توجهات جادة لطرح قضايا الدين والأمة، بوعي وانفتاح، جزى الله القائمين عليها والمهتمين بهذه التوجهات كل خير.

لكي نأخذ موقعيتنا بين الأمم، ونستفيد من زمام المبادرة، لا بد وأن نحترم ذاتنا أولًا، فالأمة التي لا تحترم نفسها لن يحترمها الآخرون، وأركز هنا على النقاط التالية:

أولًا: أن نحترم العقل فينا، بأن نرفع القيود والأغلال التي تكبل عقولنا، وأن نستخدمها كما أمرنا الله تعالى في معرفة طرق الخير ومزالق الشر، وفي اكتشاف آفاق الكون من حولنا، وتسخير إمكانات الطبيعة، وفي إدارة شؤون الحياة، إننا أمة تعاني من سيطرة العواطف على مواقفنا وتوجهاتنا، وغياب مرجعية العقل، وتحديد مساحة

حركته، مع أننا ننتمي إلى دين تركز آيات كتابه القرآن المجيد على محورية العقل وضرورة تحكيمه ﴿**أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾، ﴿**لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾.

ثانيًا: أن نحترم قدراتنا وطاقاتنا، التي منحنا الله تعالى إياها لنفجرها ونُفعلها، فنعمر الأرض ونصلحها، ونتجاوز حالة الكسل والخمول والتواكل، التي جعلتنا نعيش على فتات موائد الآخرين، حيث نستورد أغلب احتياجاتنا من الدول الأخرى، ونفقد أدنى درجات الاكتفاء الذاتي، وتشكو أكثر مجتمعاتنا من أفواج العاطلين، ومن البطالة المقنَّعة.

إن المواطن العربي أصبح يعتمد على الخارج مثلًا للحصول على ٦٥٪ من احتياجاته من القمح، و٧٤٪ من السكر، و٦٢٪ من الزيوت النباتية. وكما قال وزير التجارة المصري في افتتاح المؤتمر السنوي الـ ٣٤ لإتحاد غرف التجارة العربية: إن الدول العربية أصبحت في مجموعها أكثر مناطق العالم عجزًا في الغذاء!! مع أن لدينا أرضًا زراعية لا تكاد نستثمر منها إلا حوالي ١٠٪، كما لا يزيد مستوى الإفادة من الأمطار عن ١٥٪.

وكمثال واضح على ضعف استفادتنا من الإمكانيات المتوفرة واعتمادنا على الخارج ما تشير إليه التقارير من توفر الثروة السمكية في منطقة الخليج والتي تمتلك سواحل مترامية الأطراف تمتد لحوالي ٣٥٠٠ كيلومتر، والرصيف القاري لها يحتل مساحة تقدر بـ ٢٥٠ كيلومترًا مربعًا، ولكننا نستورد حوالي ٤٠٪ من حاجتنا السمكية من الخارج، ولا نستقل إلا نسبة ١٤٪ من المخزون السمكي الممكن استغلاله سنويًا. حسب تقرير نشرته مجلة الاقتصاد الصادرة من غرفة صناعة وتجارة المنطقة الشرقية عدد ٢٧٢. إننا بحاجة إلى تربية عائلية، ومناهج تعليمية، وأجواء اجتماعية، وأنظمة وقوانين تدفع الإنسان

عندنا للعمل والفاعلية، وتحفزه لتفجير طاقاته وقدراته.

حقوق الإنسان في العالم الإسلامي

ثالثًا: أن نحترم بعضنا بعضًا، على مستوى العالم الإسلامي فتراعى حقوق الإنسان، كما أقرتها الشريعة الإسلامية، وتتاح فرصة المشاركة في الشأن العام، وتتوفر الحريات، أليس من المؤسف حقًا أن يعيش اليهود المحتلون لفلسطين حالة من الاستقرار والتعايش والتلاحم فيما بينهم، وهم شتات تجمعوا من أصقاع شتى، وتعاونوا على إثم الاغتصاب لأراضينا، والعدوان على شعوبنا، بينما لا تزال الكثير من المجتمعات الإسلامية تعاني من الأزمات والفتن الداخلية؟ إننا باحترام أنفسنا ضمن هذه الأبعاد الثلاثة، نتأهل لاحترام العالم لنا وأخذ موقعيتنا بين الأمم.

نحاور الغرب أم أنفسنا؟

■ **في الوقت الذي نتهم الغرب لأنه لا يصغي إلينا.. هل أحسنا الحوار فيما بيننا؟.. وكيف نتجاوز هذه الحالة؟**

□ الحوار مع الآخر قد ينطلق من حالة وعي حضاري، وإيمان بإنسانية الإنسان وحقوقه وكرامته التي أقرها الله تعالى بقوله: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾[1] وهنا يكون الحوار نهجًا وخلقًا ثابتًا، مع كل آخر مختلف معه، في الدين أو المذهب، أو الرأي أو الانتماء الحضاري. بل يصبح الحوار أوثق وأعمق كلما اْقترب الآخر من دائرتك.

لكن بعض من يطرحون الحوار مع الغرب، لا ينطلقون من هذه الحالة مع الأسف، وإنما من واقع الشعور بالضعف تجاه الغرب،

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

والإحساس بالحاجة له. أما على مستوى الأمة فهناك استئساد على بعضنا البعض، وممارسة للقهر والفرض.

هذا هو تفسير الدعوة إلى الحوار مع الغرب مع الإصرار على التشرذم والقطيعة الداخلية في نظري. والسبيل إلى تجاوز هذه الحالة هو الوعي الحضاري، والفهم الصحيح للدين، والنضج السياسي والأخلاقي. إننا بحاجة إلى ثقافة إنسانية عميقة تعرفنا بحقوق الإنسان بيننا، وبحاجة إلى وعي مبدئي، يدفعنا إلى احترام الرأي الآخر في داخلنا، ويقنعنا بالإقلاع عن الاستبداد والتعصب، والذي لم نجن منه إلا التخلف والدمار.

السعوديون شعب مسلم عربي واحد

■ أنت من الدعاة إلى تعزيز الوحدة الوطنية على قاعدة الولاء لمطلقات الإسلام وقواعده العامة مناديًا بتجاوز الاختلافات الجزئية، هل لك أن تحدثنا عن جهدك في هذا المجال؟

□ في المملكة العربية السعودية شعب مسلم عربي واحد والحمد لله، ولم تكن بين أبناء هذا البلد نزاعات في الماضي، لكن ما رافق انتصار الثورة الإسلامية في إيران، والحرب العراقية الإيرانية، من مشاكل وأحداث، أعطى الفرصة لبعض التوجهات المتشنجة طائفيًا، أن تصطاد في الماء العكر، وأن تمارس نشاطًا إعلاميًا ودعائيًا محمومًا في مصلحة القوى المعادية للإسلام، والطامعة في النفوذ في بلاد المسلمين، ومن الطبيعي أن تشجّع وتدعم ما يفرق الصفوف، ويمزق وحدة الشعوب.

لكن الظروف الآن قد تغيّرت والحمد لله، والمطلوب معالجة آثار

الفترة السابقة.

وكمواطن مسلم أسلك طريق الدعوة إلى الله، فإني أشعر بالمسؤولية تجاه وحدة الأمة، وتماسك المجتمع. وأعي جيدًا مدى أضرار النزاعات والخلافات على أمن الوطن ومصلحة المواطنين، لذلك انطلقت للعمل على هذا الصعيد بتوفيق الله تعالى.

ولمست من تشجيع المسؤولين كسمو أمير المنطقة الشرقية الأمير محمد ابن فهد ونائبه الأمير سعود بن نايف حفظهما الله ما دفعني لمضاعفة الجهد والنشاط.

ويتركز جهدي في هذا المجال على محورين:

الأول: التأكيد على ثقافة الوحدة وضرورتها، وتأصيل أخلاقياتها كاحترام الرأي الآخر، والقبول بالتعددية، والتذكير بالأصول الدينية الواحدة بين المسلمين، والتسامح تجاه الاختلافات الفرعية والجزئية، والاهتمام بالمصالح المشتركة لنا كمواطنين وللأمة الإسلامية التي تواجه أشد التحديات والأخطار في هذا العصر. كل ذلك عبر الكتابة والتأليف، وإلقاء الخطابات والمحاضرات والتحادث المباشر مع مختلف الأوساط.

المحور الثاني: التواصل الاجتماعي، بالمبادرة إلى زيارة العلماء وذوي الرأي والتأثير من أجل تمتين أواصر العلاقة، ومناقشة ما يدور في الأجواء من تساؤلات، لتوضيح الصورة، وتلافي أثار الفترة السابقة.

بالطبع فهذه مسؤولية عامة يجب أن يشترك في القيام بأعبائها كل من تهمه مصلحة الوطن ومستقبل الدين والأمة. وهناك جهود خيّرة تبذل في هذا المجال من قبل العديد من الواعين المصلحين دعاة الوحدة في المملكة وبلدان إسلامية أخرى، مما يبشر بخير والحمد لله، وجهدي المتواضع ما هو إلا إسهامًا بسيطًا ضمن هذه الجهود

المبذولة.

لا يمكن تجاهل الاختلاف

■ **بأمانة، هل ترى إن السبيل الأمثل للحوار هو في المصارحة العلمية بطبيعة الاختلافات مع التأكيد على وجوب أن تتعود الذهنية العامة على تقبل الخلاف تحت سقف المبادئ العامة للإسلام؟**

□ لا يمكن تجاهل وجود اختلاف الرأي داخل الأمة الإسلامية على صعيد بعض المسائل العقدية والفقهية، ومن المطلوب علميًا ومعرفيًا مناقشة هذه المسائل الخلافية، والمصارحة والجرأة في الحوار حولها، لكن يجب التنبيه على أمور:

أولًا: أن لا ننشغل بها عن الأخطار المحدقة بنا، أيصح لجماعة تتعرض سفينتهم لخطر غرق في البحر، أو طائرتهم لمحاولة اختطاف، أن يتجاهلوا ذلك، وينشغلوا بمناقشة أمور علمية وتاريخية؟!

ثانيًا: أن نعمل لتهيئة الأجواء الهادئة المستقرة التي تساعدنا على الحوار الموضوعي، والنقاش الحر، والنقد البناء لبعضنا البعض، أما مع التشنج الطائفي المتمثل في فتاوى التكفير، وخطابات التحريض، وحالات التمييز والقطيعة الاجتماعية، فإن الحوار قد يأخذ منحى آخر يبعده عن هدفه الصحيح، وغايته المرجوة.

ثالثًا: أن يتم الحوار والنقاش في المسائل المختلف فيها ضمن مؤتمرات علمية، ومنتديات جادّة، وليس بأسلوب التراشق الإعلامي والإثارات على المستوى الجماهيري. وحيث يسعى كل طرف للانتصار على الآخر، ورفع معنويات أتباعه.

أمريكا وابن لادن

■ أمريكا قسمت العالم إلى قسمين: قسم مع الإرهاب وقسم مع أمريكا، وبن لادن شطر العالم إلى (فسطاطين).. أما مع القاعدة أو مع الكفر!.. كيف يواجه المسلمون هذه (الثنائية) الخاطئة؟

□ أمريكا تعتمد منطق القوة والهيمنة والتسلط على العالم، والإدارة الأمريكية الحالية، تقود انقلابًا عنيفًا على مبادئ الدستور الأمريكي، وتمارس سياسات واضحة التصادم والتناقض مع كل الشعارات التي يطرحها الغرب حول الديمقراطية والحريات وحقوق الإنسان. ودعم أمريكا للإرهاب الصهيوني، وخاصة جرائم شارون التي تجري هذه الأيام، هو المثل الصارخ لتوجه الإدارة الأمريكية نحو الهيمنة والتسلط بالقوة دون حساب لأي قيم أو مبادئ.

أما منطق بن لادن وطالبان في هذه المواجهة ففيه الكثير من التخبط والجهل، وقد أعطى هذا المنطق لأمريكا فرصة ذهبية ما كانت تحلم بها. تمامًا كما فعل صدام حسين في غزوه للكويت، حيث مكن لأمريكا أن تحقق أهدافًا عسكرية وسياسية واقتصادية كبيرة في المنطقة والعالم الإسلامي.

وما قدمه بن لادن من مجال لأمريكا هو أكبر وأعظم، ونحن الآن نقطف الثمار المرّة لما حدث، من خلال ما يجري في فلسطين وما يحصل في أفغانستان وما تحاك خيوطه لباكستان، ولمختلف أنحاء العالم الإسلامي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

حملة مشبوهة

■ **تتعرض المملكة العربية السعودية لهجمة حادة من الإعلام الأمريكي والغربي بشكل عام وأنها مصدر الإرهاب في العالم، برأيك ما هي الصيغة المثلى للتصدي لهذه الهجمة؟**

□ واضح أن الهجمة الحادة من الإعلام الأمريكي والغربي على المملكة لها أهداف مشبوهة، فهي تستهدف صمود المملكة في الدفاع عن القدس والقضية الفلسطينية، كما تستهد تجفيف ينابيع الصحوة الإسلامية والاتجاه الديني.

والتصدي لهذه الهجمة الشرسة يستدعي في نظري: أن نمتلك الشجاعة في مراجعة الذات، واتخاذ المبادرات الجادّة، في سدّ الثغرات، ومعالجة النواقص ومواطن الخلل، حتى لا يستغلها الأعداء، ولا تنمو من خلالها حالات الجهل والخطأ. والحمد لله فقد أكّد سمو ولي العهد في العديد من خطاباته الأخيرة على هذا التوجه.

كما أن المطلوب مضاعفة الجهد الثقافي والإعلامي للتعريف بالإسلام وبقضايا المسلمين العادلة أمام الرأي العام العالمي، وفي أوساط المجتمعات الغربية، بتطوير المضمون، وتجديد وسائل الطرح.

العلم في القطيف

■ **باعتباركم من علماء القطيف، هل لك أن تحدثنا عن الحركة العلمية والثقافية في القطيف؟**

□ الحركة العلمية والثقافية في القطيف عميقة الجذور، فقد كانت في هذه المنطقة حضارات إنسانية سابقة كالفينيقيين، وفي

العصر الجاهلي قبل الإسلام كان فيها بنو قيس والذين أشتهر منهم العديد من الشعراء كطرفة بن العبد، وفي ظل الإسلام تواصل ونما العطاء العلمي والأدبي لهذه المنطقة عدا بعض الفترات الصعبة التي مرت عليها.

والآن في العهد السعودي المجيد في القطيف حركة علمية ثقافية نشطة تتمثل في وجود عدد من علماء الدين الأفاضل البارعين في علوم الأدب العربي والشريعة الإسلامية.

وفي القطيف حركة أدبية أصيلة يقودها عدد من الأدباء والشعراء المبدعين.

أما الحركة الثقافية في القطيف فهي نشطة متقدمة، ينعكس نتاجها في بعض المجالات الفكرية والأدبية التي تهتم بشؤون الفكر الإسلامي والتراث، عدد من الكتب والمؤلفات ينتج عن هذه الحركة الثقافية والأدبية في القطيف سنويًا.

وهذا النشاط المعرفي هو جزء من الحركة الثقافية في وطننا الغالي المملكة، وضمن نفس التوجهات الدينية والوطنية. بالطبع فنحن بحاجة إلى تواصل أكبر بين مثقفي هذا الوطن وعلمائه وأدبائه في مختلف المناطق.

تطوير المناهج التعليمية

■ ما رأيك في تطوير مناهج التعليم بصورة عامة، وهل لديك تصور جديد يناسب هذه المرحلة؟

□ دراسة المبادئ الدينية، وتعميق القيم الإسلامية، وتبيين أحكام الشريعة، والأخلاق الفاضلة، ضرورة ملحة في كل مجتمع مسلم، ومما نفخر به في المملكة وجود هذا الاهتمام في مناهجنا

التعليمية.

أما موضوع تطوير هذه المناهج، ومراجعة موضوعاتها وأساليبها، فهو أمر كان مطروحًا منذ فترة سابقة، وتجب المبادرة إليه لا على أساس الاستجابة لضغوط خارجية، وإنما من منطلق أخذ التطورات الثقافية والاجتماعية بعين الاعتبار، فأجيالنا وناشئتنا المعاصرة لا يصح أن نربيها ونتخاطب معها كالأجيال السابقة، بل نحتاج إلى تطوير المناهج من حيث أولويات التركيز، وأسلوب الطرح والمعالجة.

وفي هذا السياق ينبغي أن تركز المناهج على الأصول الإسلامية العامة، وتهيئ الناشئة لقبول الاختلاف وتعدد الآراء ضمن الإطار الديني، وأن ذلك لا يخدش بإسلام أحد، ولا ينتقص من مواطنته وحقوقه. وفي كثير من الجامعات الإسلامية كالأزهر الشريف هناك دراسة للفكر الإسلامي والفقه الإسلامي المقارن وهذا ما ينبغي أن يحصل في جامعاتنا.



[*] الحوار الثامن[1]:

البعد الروحي والحضاري لشهر رمضان

---

(١) الوطن: صحيفة يومية سعودية، أجرت الحوار: عالية فريد، العدد (٤٣٠) السنة الثانية الاثنين ١٨ رمضان ١٤٢٢هـ الموافق ٣ ديسمبر ٢٠٠١م.



قال الشيخ حسن الصفار إن رمضان المبارك بأجوائه الروحية الصافية يوفر خير فرصة لأبناء الأمة الإسلامية للتأمل في واقعهم المعاش وللتفكير في سبل التغلب على مشاكله وصعوباته، كما نبه في حديثه لــ(الوطن) إلى أن أبناء الأمة يحتاجون إلى زخم روحي كبير يمنحهم المزيد من الثقة، مشيرًا إلى أن العالم يعيش عصر العولمة والتكتلات ونحن نقبع في صوامعنا الطائفية ومناطقنا الحزبية! وأن كثيرين أصيبوا بالهزيمة النفسية والفكرية فصاروا يلتقطون من الإسلام ما يوافق توجهاتهم واستحساناتهم.

وهذا نص الحوار:

أوضاع العالم الإسلامي

■ **شهر رمضان جديد يطل على الأمة الإسلامية كيف تقيمون أوضاع العالم الإسلامي؟**

□ يقبل علينا شهر رمضان المبارك والعالم الإسلامي يعيش محنة شديدة قاسية، بسبب تداعيات أحداث ١١ سبتمبر في أمريكا، واتهام جهات من المسلمين بتنفيذها، وما ترتب على ذلك من الهجمات على

أفغانستان.

وهذه المحنة ذات بعدين:

البعد الداخلي: ويتمثل في معاناة إخواننا الأفغانيين حيث عاشوا لأكثر من شهر جحيم القصف من القوات الأمريكية والبريطانية، والذي لم يوفر أماكن العبادة، ولا مستشفيات المرضى، ولا حافلات الركاب المدنيين. ولا المناطق السكنية.. وكذلك ما تفرضه أجواء الحرب عليهم من حصار ورعب، ومشكلات في مختلف مجالات حياتهم.

وهناك مئات الألوف منهم اضطروا إلى النزوح عن منازلهم ومناطقهم، وأصبحوا يعيشون لاجئين في مخيمات تفتقر لأدنى مقومات الحياة، سواء داخل أفغانستان أو خارجها.

من ناحية أخرى فقد سببت هذه المحنة تشنجًا واختلافًا في أغلب الأوساط والبلدان، حول تقويم ما حدث، والموقف الواجب اتخاذه. وباكستان هي البلد الأكثر تضررًا في هذا السياق، وبلدان إسلامية أخرى تعيش نفس المشكلة لكن بدرجات متفاوتة.

أما البعد الخارجي: فيتمثل في المواقف الأمريكية والإجراءات التي تتخذها تحت شعار مكافحة الإرهاب، وما تتركه من آثار على مستوى العلاقة بين المسلمين والغرب، والضغوط التي تتوالى على الجهات الإسلامية، من حكومات ومؤسسات، وشخصيات إسلامية، أصبحت معرضة للملاحقة والاستهداف، وعلى جميع المستويات الأمنية والاقتصادية والإعلامية.

والأهم من كل ذلك تأثيرات ما حدث على القضية المركزية للأمة قضية فلسطين، وسعي إسرائيل لاستثمار الظروف والأجواء لصالح سياساتها الظالمة التعسفية.

استثمار الشهر الكريم

■ **هل يمكن استثمار شهر رمضان المبارك لما ينفع الأمة في مواجهة هذه التحديات؟**

□ شهر رمضان المبارك بأجوائه الروحية الصافية، يوفر خير فرصة لأبناء الأمة للتأمل في واقعهم المعاش، والتفكير في سبل التغلب على مشكلاته وصعوباته .

فأولًا: على الصعيد الفكري هناك تشويش وضبابية في الرؤية ناتجة من اختلاط المفاهيم، واضطراب المناهج، ففي فهم الإسلام ومعرفته، هناك من يعيشون أسر فهم القرون الماضية، مع أن القرآن الكريم يدعو البشرية بأجيالها الصاعدة إلى التأمل والتدبير في معانيه: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾، ﴿**لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ**﴾، ﴿**لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾، ﴿**لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾، وإذا جمدنا على فهم السابقين، فذلك يعني أننا معفيونَ من الأمر بالتدبر والتفكُّر والتعقُّل.

وهناك من حاول أن يفصل الإسلام على مقاسات مصالحه ونزعاته الذاتية والفئوية وهناك من أصيبوا بالهزيمة النفسية والفكرية تجاه تيارات الحضارة المادية، فصاروا يلتقطون من الإسلام، ما يتوافق مع توجهاتهم واستحساناتهم.

إننا بحاجة إلى الانفتاح على نبع الإسلام الصافي، ومصدره الأساس، كتاب الله الكريم، وما ثبت من السنة الشريفة، وأن نتجاوز العقد والعصبيات والانتماءات، حتى لا تشكل حاجزًا بيننا وبين الفهم الصحيح والرؤية السليمة.

بالطبع فإن شهر رمضان هو شهر القرآن، حيث أنزل فيه: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنْ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ**﴾. وكما جاء في حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا

التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن»[١].

إن القراءة الواعية للقرآن، والتدبر الحر في آياته، والنظر إلى الواقع المعاش بموضوعية، يساعدنا كثيرًا على الخروج من حالة التخبط في الرؤية، والتشويش في الفكر.

وثانيًا: على المستوى النفسي يحتاج أبناء الأمة إلى زخم روحي كبير، يمنحهم المزيد من الثقة، ويدفعهم إلى تحمل المسؤوليات الضخمة، ومواجهة التحديات الخطيرة، إن قطاعًا واسعًا يعيش حالة اللامبالاة تجاه ما يحدث، وهناك من سيطر عليه الإحباط واليأس والبعض ابتلي بداء التشنج والانفعال .. إضافة إلى ما يسود الأجواء من ضعف في الفاعلية والنشاط ..

ويمكننا التعويل كثيرًا على بركات شهر رمضان الروحية، لمعالجة الكثير من هذه الأجواء النفسية، والثغرات الروحية، عبر التوجه إلى الله تعالى، والتزود من مناهل العبادة الخاشعة، لاستلهام المعنويات الرفيعة، وكسب العزم والتصميم على تحمل الواجبات تجاه ديننا وحياتنا ومستقبلنا وأوطاننا.

ثالثًا: في الجانب الاجتماعي: ينبغي استثمار الشهر الكريم في اختراق الحواجز التي تفصلنا عن بعضنا، لأسباب عرقية أو قبلية أو مذهبية أو فئوية.

فنحن نعيش عصر العولمة ونواجه تحالفات وتكتلات عالمية، بينما نقبع في صوامعنا الطائفية والمناطقية والحزبية.

فحتى على مستوى الوطن الواحد نعيش كانتونات نفسية، تجعل نظرة الواحد منا مشوشة عن الآخر يتهمه في دينه أو في ولائه

---

(١) كنز العمال، حديث رقم ٤٠٢٧.

الوطني، للمسافات النفسية الفاصلة، والتأثر بظروف تاريخية سابقة .

تطورات أفغانستان

■ **ما تعليقكم على تطورات الوضع في أفغانستان والانهيار المفاجئ لنظام طالبان؟**

□ لا أرى أن انهيار نظام طالبان كان مفاجئًا، فالعالم تحكمه سنن وقوانين، وليس شعارات وأمان، والمعركة لم تكن متكافئة أبدًا، بين تحالف دولي واسع تقوده أقوى الدول، وبين نظام حكم معزول محاصر في داخل بلاده، حيث اتسعت قاعدة المعارضة لطالبان حتى من قبل هذه الأحداث. إضافة إلى ثارات الجيران تجاه هذا النظام. وكان اعتماد طالبان الأساسي على الدعم الباكستاني، وأوضح أن باكستان اضطرت إلى التخلي عن تبني نظام طالبان.

بالطبع نظام طالبان إذ ينهار ليس مأسوفًا عليه وأنا لا أتحدث هنا عن طالبان كأشخاص أو كحركة، بل أتحدث عن طالبان كنظام له سياسات متخلفة متطرفة، أساءت للإسلام، وسببت المعاناة للشعب الأفغاني، وأعطت الفرصة للأمريكيين أن يحققوا نصرًا سهلًا يستغلونه لإحكام هيمنتهم وسيطرتهم على العالم.

وما يؤلم الإنسان هو الدمار والظلم الذي لحق الأفغانيين من جراء الحملات الأمريكية العسكرية القاسية.



المحتويات